

مسائل في علوم القرآن



مجمع التأسيس

د. عبد الغفور محمود مصطفى جعفر



مسائل في علوم القرآن

تأليف:

د. عبد الغفور محمود مصطفى جعفر

إعداد:

د. محمد عبد الغفور جعفر

الإخراج الفني : محمود محمد أبو الفضل

د. عبد الغفور محمود مصطفى جعفر:

من مواليد مصر، حاصل على الدكتوراه، عمل أستاذا بجامعة الأزهر
وفي العديد من الجامعات العربية والعالمية .

أعد، رحمه الله، العديد من البرامج بإذاعة القرآن الكريم المصرية،
منها: «قراء وقراءات» و«كتاب مكنون» و«أئمة التفسير» وغيرها.

من مؤلفاته: «القرآن والقراءات والأحرف السبعة»، و«أضواء على
سورتي النحل والحج»، و«التفسير والمفسرون»، و«بحوث قرآنية» وغيرها...



نهر متعدد ... متجدد

مشروع فكري وثقافي وأدبي يهدف إلى الإسهام النوعي في إثراء المحيط الفكري والأدبي
والثقافي بإصدارات دورية وبرامج تدريبية وفق رؤية وسطية تدرك الواقع وتستشرف المستقبل.



وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

قطاع الشؤون الثقافية

إدارة الثقافة الإسلامية

ص.ب: 13 الصفاة - رمز بريدي: 13001 دولة الكويت

الهاتف: 22487310 (+965) - فاكس: 22445465 (+965)

نقال: 99255322 (+965)

البريد الإلكتروني: rawafed@islam.gov.kw

موقع «روافد»: www.islam.gov.kw/rawafed



تم طبع هذا الكتاب في هذه السلسلة للمرة الأولى،
ولا يجوز إعادة طبعه أو طبع أجزاء منه بأية وسيلة إلكترونية أو غير
ذلك إلا بعد الحصول على موافقة خطية من الناشر

الطبعة الأولى - دولة الكويت

يونيو 2011م / رجب 1432 هـ

الآراء المنشورة في هذه السلسلة لا تعبر بالضرورة عن رأي الوزارة

كافة الحقوق محفوظة للناشر

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

الموقع الإلكتروني: www.islam.gov.kw

تم الحفظ والتسجيل بمكتبة الكويت الوطنية

رقم الإيداع: 133 / 2011

ردمك: 978-99966-50-12-3

فهرس المحتويات

- ٥ تصدير
الفصل الأول:
- ٧ في علوم القرآن
الفصل الثاني:
- ٢٧ ألفاظ ومصطلحات قرآنية
الفصل الثالث:
- ٦١ في التناسب البياني
الفصل الرابع:
- ١١١ مسائل في القراءات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تصدير



الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.

فهذه مجموعة من المباحث أنشأها الدكتور عبد الغفور محمود مصطفى جعفر، رحمه الله، إجابة على أسئلة مختلفة في علوم القرآن والتفسير والقراءات، وهي تشكل مادة علمية جامعة في تلك العلوم، توضح العديد من الإشكالات، وتجلي مجموعة من المفاهيم والأسرار في جمع القرآن الكريم وأسلوبه ونظمه وقراءته. وقد صنفتها الكاتب في شكل فصول، بدأها بقضايا تتصل بعلوم القرآن عامة، ثم أفرد فصلا لتفسير العديد من الألفاظ والمصطلحات القرآنية، وآخر لبعض القضايا المرتبطة بعلم القراءات.

ويمثل الفصل الخاص بالتناسب البياني إضافة نوعية في مباحث الكتاب، وذلك لأنه يبحث في الأسرار والحكم واللطائف التي تكمن خلف أساليب القرآن الكريم، من حذف وزيادة ، وتقديم وتأخير، وإفراد وجمع، وذكر وإضمار.. مما يمثل وجها من أوجه إعجاز البيان القرآني.

ويسر إدارة الثقافة الإسلامية أن تقدم هذا الكتاب إلى جمهور القراء الكرام، داعية المولى عز وجل أن يتعمد كاتبه برحمته الواسعة، وأن يجعله في ميزان حسناته.

والشكر موصول إلى الدكتور محمد عبد الغفور، ابن المؤلف، على جهوده القيمة في ترتيب فقرات هذه المباحث وإعدادها للنشر.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات...



الفصل الأول:
في علوم القرآن

- السؤال (١): من الذي سمى سور القرآن الكريم بأسمائها؟

- الجواب:

اشتهر تسمية بعض السور في زمن النبي ﷺ بنطقه بها، أو بإقراره لمن نطق بها أمامه. ومن ذلك قوله ﷺ كما في البخاري: «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب»، وفي صحيح مسلم: «اقرأوا الزهراوين البقرة وآل عمران»، وعند الترمذي بسند حسن: «شيبتي هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت»، وعند مسلم: «من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال»، وعند الدارمي بسند حسن: «من قرأ يس في ليلة ابتغاء وجه الله غفر له في تلك الليلة»، وعنده عن عطاء بن أبي رباح قال: بلغني أن رسول الله ﷺ قال: «من قرأ يس في صدر النهار قضيت حوائجه»^(١).

وما نطق به الصحابة من أسامي السور دون أن يكون نطقهم بحضرة ﷺ ودون أن يصرحوا بسماعه منه أو يثيروا إلى سماعه: الظاهر أنهم حفظوه عنه^(٢). فإننا نستبعد جداً أن يكون النبي ﷺ لم يسم السور لهم وهو يلقنهم إياها ويبلغهم الوحي أولاً فأولاً. اللهم إلا إذا كانوا قد عرفوا من طريقة التسمية المسموعة منه كيف تكون فاستتبطنوا لبعض السور أسماء سموها بها، وعرفوا أنه لا يعترض عليهم في ذلك، أو عرفوا أن من الجائز لهم أن يسموا بعض السور بأسماء يرونها ويستتبطنونها. فذلك لا يبعد. وقد عرفت أسماء بعض السور عنهم، وما وقف عليهم نعتبه في حقنا توقيفاً وتعليماً منهم لنا، فنتقبله ونقف عنده ولا نتجاوزه.

١- رسالة الدكتوراه (ص ٥٦-٦٣) بمكتبة كلية أصول الدين. انظر ذلك كله في «أسرار أسماء القرآن» للدكتور الحسيني عبد الفتاح الشافعي.

٢- انظر التحرير والتشوير للطاهر بن عاشور (١/٩١).

ولا أحصي هذا ولا غيره مما سبق ومما يأتي. ويكفي أن أذكر مثلاً واحداً، مما ورد في الصحيح هو: تسمية سورة النجم هكذا (بدون واو)، وتارة تسميتها سورة والنجم (بالواو)^(١). وبعض السلف سموا أيضاً بعض السور كسورة حم السجدة. وما جاءنا عن السلف نعتبره في حقنا توقيفاً وتعليماً منهم لنا، فنتقبله ونقف عنده ولا نتجاوزه. فالمنقول عن أهل القرون الثلاثة الأولى متبع، ولا يوصف بأنه منهم مبتدع:

وكل خير في اتباع من سلف وكل شر في ابتداع من خلف
فتابع الصالح ممن سلفاً وجانب البدعة ممن خلفاً

قال الإمام السيوطي: «وقد ثبت جميع أسماء السور بالتوقيف، من الأحاديث والآثار»^(٢). فجعل الآثار مع الأحاديث موقفة أي معلمة.

وقد أُلّف عطاء الخراساني من التابعين ومن رجال مسلم، وروي عن قتادة، وغيره أنهم ذكروا أسامي السور مرتبة حسب نزولها بمكة ثم المدينة^(٣).

وتفاصيل ذلك في مراجعه، مثل كتاب «جمال القراء» للسخاوي و«الإتقان» للسيوطي. والله أعلم

١- انظر السابق عند تفسير سورة النجم.

٢- الإتقان بتحقيق البيضا (١٦٦/١).

٣- انظر فتح الباري (٤٨/١٩) كتاب فضائل القرآن، باب تأليف القرآن، وطبقات المفسرين للداودي (٢٨٥/١) وهامشه، وتقريب التهذيب لابن حجر (٢٣/٢)، والإتقان للسيوطي (٢٥/١، ٧٤، ١٤١)، النوع الأول والنوع السابع والنوع السابع عشر.

وفي التحرير والتنوير (٩١/١) نبذة عن أسامي السور وكيف أنها باعتبار كلمة في السورة، أو... إلخ، وأنها كتبت في مصحف أبي، الخ.

-السؤال (٢): نعلم أن القرآن الكريم قد حفظه الأئوف في كل جيل منذ جيل الصحابة رضي الله عنهم إلى يومنا هذا، فكيف يقال إنهم في جمع القرآن الكريم لم يجدوا آخر سورة التوبة إلا مع واحد؟ وهل يكفي هذا في ثبوت القرآنية؟

-الجواب:

القرآن الكريم متواتر حرفاً حرفاً في كل جيل منذ عصر النزول إلى يومنا هذا وإلى أن يرفعه الله تعالى، ونعوذ بالله من زمان رفعه حين لا يكون على وجه الأرض مسلم. ولا تثبت القرآنية لحرف إلا بتواتره بأن ينقله عدد كبير يستحيل تواطؤهم على الكذب كما يستحيل وقوع الكذب منهم مصادفة بدون تواطؤ، نقلاً مستمراً بهذه الصفة في جميع العصور.

وهذا النقل المتواتر للقرآن إنما هو نقله سماعاً ومشاهدة. وليس من الضروري أن يكون هذا النقل الشفوي مصحوباً بمصاحف أو مكتوبات بالغة حد الكثرة لكل آية في كل عصر. يدل ذلك على ذلك أن القتل لما اشد في القراء في حرب اليمامة في زمن الصديق رضي الله عنه، وخاف سيدنا عمر رضي الله عنه أن يضيع شيء من القرآن بموت حفّاه رأى أن كتابة القرآن وجمعه في صحف في مكان أمين تأمين للمستقبل. وهو بذلك يريد أن يفعل أقصى ما يمكن للحفاظ على القرآن كما هو واجب الأمة. وتخرج الصديق من ذلك تحرجاً يدلنا على أنه يكفي الحفظ في الصدور، وليس من الضروري في نظره أن يكتب في السطور. ودليل ثان، وهو أن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه لم يكتب الفاتحة والمعوذتين في مصحفه، لأنه لم يصل إلى علمه أن النبي صلى الله عليه وآله أمر بكتابتهم، فاكتفى بحفظ الصدر، وأخذ القرآن عنه مشافهة بهذه السور. فلم يكن عنده مانع ولا حرج في أن يكون من القرآن ما يحفظه المسلمون ولا يكتبونه، وإن كانوا قد خالفوه وكتبوا هذه السور، ثم وافق على

كتابتها وأجمعوا جميعاً على صحف الصديق وفيها هذه السور، ثم أجمعوا على المصاحف العثمانية كذلك. كما وافق الصديق على كتابة القرآن الكريم بعد تحرجه الشديد إذ كان خائفاً من أن يظهر بمظهر الحريص أكثر من النبي ﷺ على الاحتياط للقرآن الكريم.

والذين كتبوا مصحف الصديق لم يجدوا الآيتين من آخر سورة التوبة مكتوبتين كتابة مشهوداً لها بأنها كانت بين يدي النبي ﷺ إلا مع واحد، وكفى بهذا لأنه بخصوص قاعدة الكتابة بين يديه ﷺ، لا بخصوص الحفظ فالكثيرون يحفظون، بل الكثيرون معهم مكتوباتهم وفيها الآيتان لكن بالنقل عن بعضهم لا بالكتابة بين يديه ﷺ.

فقول السائل: هل يكفي هذا في ثبوت القرآنية؟ نقول فيه: لم يكن هذا لإثبات القرآنية، فهي ثابتة بالمشاهدة المتواترة، ونقول: يكفي هذا في ثبوت قاعدة الكتابة والإذن بها. وقس على ذلك.

- ٣ -

-السؤال (٣): سمعت شخصا يقول لآخر: إن الأفهام تغيرت تبعاً للتطور العلمي في تصور المعنى المراد من لفظ (لواقح) في قول الحق تبارك وتعالى: ﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَّاحٍ ﴾ (الحجر: ٢٢) فما توضيح هذا الكلام؟

-الجواب:

فإن الأفهام إذا تغيرت في تصور معاني القرآن بأن أنكرت الصحيح القديم واعتمدت الجديد فقط فهذا خطأ لا شك فيه. وإذا تغيرت بمعنى اتسعت وأضاف من الجديد إلى القديم ما صح منهما لدى العلماء فهذا مقبول، فإن القرآن جديد دائماً، ولا تنقضي عجائبه. ونبين ذلك بما دار حول قول الله تعالى: ﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَّاحٍ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ

وَمَا أَنْشَرَهُمْ بِخَيْرِنِ ﴿٢٢﴾ (الحجر: ٢٢)، فنقول: فسرت ﴿لَوْقَحٌ﴾ بأنّها تلقح الشجر، والسحاب، أي تصب الماء فيهما^(١)، وتلقح الشجر فتفتح عن أوراقها وأكمامها، وتلقح السحاب فتدر ماء^(٢). وقال الحسن وقنادة والضحاك: تلقح الشجر أي تقويها وتميها إلى أن يخرج ثمرها^(٣). وفي تفسير الطبري: تلقح الشجر والسحاب أي تعمل عملها فيهما^(٤). والرياح تفعل هذا كله. وهذه الأقوال كلها صحيحة، ثم اتسع التصور والفهم على ضوء مكتشفات العلوم الحديثة كما يسمونها، فأضيف إلى ذلك مما صح عندهم أن الرياح تلقح الشجر بأن تهزه فيسري اللقاح من موضع الذكورة إلى موضع الأنوثة في أعواد الذرة مثلاً، وبأن تحمل الرياح حبوب اللقاح «غبار الطلع» من أعضاء الذكورة في النباتات إلى أعضاء الأنوثة في أفراد أخرى من هذه النباتات، فيتم الإخصاب، فتثمر النباتات ما نأكله ونحيا به، وبأن تحمل الرياح الحشرات الحاملة لحبوب اللقاح، وبأن تلقح الرياح التربة بأن تمدها بالعناصر اللازمة لخصوبتها، ومنها الأزوت الذي يوجد طبيعياً في الهواء مثلاً^(٥). وأن الرياح تلقح السحاب بمعنى أنها تعمل على سوق السحاب المشحون بالموجب من الكهرباء والمشحون بالسالب بعضه إلى بعض، فتتحد الكهربائيتان، ويحدث التفريغ الكهربائي، فيتكاثف السحاب مطراً، وينزل ماء سقياً للناس^(٦).

فهذه المفاهيم الجديدة مع تلك تغير الفهم أي اتسع. أما من تغير فهمه فقال الصواب أن الرياح لواقح للسحاب فقط لأن الآية رتبت على ذلك

١- روح المعاني (٣١/١٤).

٢- تفسير ابن كثير (٥٠٩/٢).

٣- النيسابوري بهامش الطبري (١٤/١٤).

٤- انظر تفسير الطبري عند الآية.

٥- من كتاب الإشارات العلمية في القرآن الكريم بين الدراسة والتطبيق، للدكتور كارم السيد غنيم، (ص١٥٣).

٦- الإسلام في عصر العلم للغمراوي (ص٤٠٥-٤٠٧).

نزول المطر وهو لا يترتب على إلقاح الشجر، فليس إلقاح الشجر مراداً هنا وإن كانت الرياح تفعله، فذكره في تفسير هذا الموضع خطأ من القدماء^(١) فنقول له: لا، لم يخطئ القدماء، والمعنى: أن الرياح تلقح الشجر والسحاب فيترتب على إلقاح السحاب نزول المطر. وليس من الضروري أن يكون تفريغ نزول المطر على كل احتمالات اللفظ. ونظير ذلك في التفريع على بعض احتمالات اللفظ دون بعض أن قوله تعالى: ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَرَئَصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ﴾ (البقرة: ٢٢٨) أي حيضات، لفظ «المطلقات» يحتمل ذوات الحيض وذوات الحمل، ثم ذكر حكم يختص بذوات الحيض. ثم فرعت الآية حكماً على كونهن ذوات حمل لا حيض، وهو: ﴿ وَلَا يَحِلُّ لهنَّ أَنْ يَكُنَّ مِمَّا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ (البقرة: ٢٢٨)، كما احتل لفظ المطلقات أن يكن رجعيات أو لا رجعة لهن، ثم فرع حكم على كونهن رجعيات لا بائنات، وهو: ﴿ وَبَعُولُهُنَّ أَحَقُّ بِرِجْعِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا ﴾ (البقرة: ٢٢٨)^(٢). هذا والله أعلم.

- ٤ -

-السؤال (٤): وجدت لابن عباس رضي الله عنه قولاً في معنى الآية الكريمة الثامنة والخمسين من سورة النور لكنه يحتاج إلى توضيح فما توضيحها؟
-الجواب:

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَسْتَعِزَّذَكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَ هُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ

١- انظر السابق ونظرات في القرآن للشيخ الغزالي (ص ١٣٧).

٢- انظر مبادئ ممارسة التفسير العلمي (ص ١٥١).

الْأَيَّاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾ (النور: ٥٨) أوجب سبحانه أن يستأذن الأطفال على أهلهم في تلك الأوقات الثلاثة إذا كان من المعتاد اختلال التستر فيها، وربما اطلع الطفل على عورة بعض أهله إذا دخل فجأة بدون تنبيه. قال سيدنا عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما-: لم يكن للقوم ستور، ثم وسع الله عليهم واتخذوا الستور فأغنت عن الاستئذان. هذا معنى كلامه. ويزيده شرحا قول بعض المفسرين إن حكم الآية، وهو وجوب الاستئذان، مرتبط بعله وهي اختلال التستر في تلك الأوقات، بدليل قوله تعالى: ﴿ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ﴾ واختلال التستر هو الفارق بين تلك الأوقات وغيرها. وعلم من ذلك أنه إذا أصبح من شأن الناس التحفظ في تلك الأوقات وعدم اختلال التستر فيها لم يلزم الأطفال الاستئذان فيها، والعكس صحيح. أي إذا علم عن الناس اختلال التستر في أوقات أخرى وجب الاستئذان فيها وإن لم تكن من العورات الثلاث المذكورة في الآية الكريمة^(١).

والخلاصة أن المعنى كما يلي: يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم في الأوقات التي علم أنكم يختل تسترهم فيها.

- ٥ -

-السؤال (٥): وجدت في بعض المراجع العلمية مجموعة من الآيات القرآنية في موضوع يسمى «علم المشكل وموهم الاختلاف والتناقض». فما بيان هذا الموضوع؟

-الجواب:

علم المشكل وموهم الاختلاف والتناقض علمٌ يعرف منه أسباب حصول الإشكال على العقل وتوهم التعارض بين بعض الآيات وبعض، وكيفية الجمع

١- انظر كتب التفسير ومنها التفسير المظهري (٦/٥٥٧)، ومعالم التنزيل للبغوي.

بين الآيات، والسبب في حصول الإشكال أو التوهم التعارض هو قصور العقل وقلة التدبر وسرعة النظر السطحي.

ويتم الجمع بين الآيتين اللتين يكون ظاهرهما التعارض، ويزول الإشكال، كما يزول التوهم بعد البحث والمعرفة بأن لكل آية موضوعاً أو زماناً أو مكاناً أو نحو ذلك، فإنه إذا تعدد الموضوع أو الزمان أو المكان لم تكن هناك مشكلة.

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَفُّهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ (الصفات: ٢٤) فهذه الآية تقضي أن الله يكلمهم ويسألهم، وفي آية أخرى أنه تعالى لا يكلمهم، قال عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتُرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أَوْلِيَّكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (البقرة: ١٧٤)، فكلام الله لهم منفي هنا وثابت هناك، وهذا إشكال في الظاهر يتوهم منه التعارض والحل أن الكلام الثابت هو الكلام الذي يسألون فيه عن التوحيد، والكلام المنفي هو الخاص بالسؤال عن الفروع فلا يسألون عنها، إذ السؤال على الأصل وقد ضيعوه لا فائدة بعده في سؤالهم عن الفروع، وقوله تعالى عن الكفار: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ (النساء: ٤٢) مع قوله تعالى عنهم ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ (الأنعام: ٢٣)، فنجدهم هنا قد كتموا، فالكتمان ثابت هنا ومنفي في الآية السابقة ويزول الإشكال والتوهم إذا عرفنا أن الزمن متعدد فيكتمون حين تكون أسنتهم منطلقاً بإرادتهم ولا يكتمون في وقت آخر وهو حين تشهد عليهم أسنتهم وأيديهم وأرجلهم رغماً عنهم.

-السؤال (٦): هل القرآن الكريم يفسر بعضه بعضاً بحيث لا يحتاج إلى أي مصدر آخر لفهمه؟ وكيف نفهم قول الحق تبارك وتعالى: ﴿فَن كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ (البقرة: ١٩٦)؟

-الجواب:

كثيراً من القرآن الكريم بين نفسه، كسورة الفاتحة مثلاً. ومنه مواضع كثيرة تفسرها مواضع أخرى، كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَالْحَمَّ الْخَنِزِيرِ﴾ (البقرة: ١٧٣)، فالدم يشمل المسفوح أي المتميع، وغيره أي الجامد كالكبد فإنها دم جامد، ولكن آية أخرى فسرت الدم المحرم، وبينت أنه المتميع، وهي قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَحَدٌ فِي مَا أَوْحَىٰ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَائِعِيٍّ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا﴾ (الأنعام: ١٤٥). وفي القرآن الكريم مواضع غير مفسرة في نفسها ولا في موضع آخر منه، كتقوله تعالى: ﴿فَن كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ (البقرة: ١٩٦) وهي في حكم من حلق رأسه لِعُذْرٍ وهو محرم بحج أو عمرة، فعليه الفدية المذكورة، وليس في القرآن، بيان أن صيام هذه الفدية كم يوماً هو، ولا مقدار الصدقة، ولا النسك أي الذبيحة، فمن الناس من زعم أنه يفسر القرآن بالقرآن فقط حتى في مثل هذه الآية، فخالف إجماع المسلمين وقال إنه يكفي صيام يوم أو يومين، كما يكفي أي صدقة قلت أو كثرت^(١).

وهذا الكلام باطل بالإجماع. ومن الناس من فسر القرآن بالقرآن ولما وصل إلى هذه الآية ونحوها فسر بالسنة، فاتضح أنه لم يقصد الإعراض

١- انظر التفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم الخطيب عند الآية الكريمة.

عن السنة، بل قصد تفسير القرآن بالقرآن ما استطاع إلى ذلك سبيلاً^(١).
والإفهام وسائر المسلمين يأخذون ببيان القرآن ممن هو أول إنسان يؤخذ
منه بيانه عند الحاجة، وهو من أنزل عليه القرآن ﷺ، وقد أخرج البخاري
ومسلم عنه ﷺ أن الفدية هنا إذا كانت صياماً فتلاثة أيام، أو صدقة فلسنة
مساكين لكل مسكين نصف صاع، أي نصف مقدار ذبيحة فهي شاة^(٢). فمن
ترك هذا البيان فقد زل ذلة كبيرة. والله تعالى يقول لنبيه ﷺ: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ
الذِّكْرَ لَتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ (النحل: ٤٤).

-٧-

السؤال (٧): كيف يكون بعض السور والآيات أفضل من بعض مع أن
الجميع كلام الله؟
الجواب:

إنه لا فضل لشيء من القرآن على شيء منه من جهة أن الجميع كلام الله
تعالى، ولا يجوز توهم نقص في سورة تبت - مثلاً - من أجل تفضيل سورة
الإخلاص عليها. ونقول بشيء من التفضيل: ما وردت الأحاديث بزيادة
فضله وبركته وثوابه تسكن إليه النفس فيكون أفضل لها. وقوله تعالى:
﴿وَاللَّهُمَّ إِنَّكَ اللَّهُ وَحْدٌ﴾ (البقرة: ١٦٣)، وآية الكرسي ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ (البقرة: ٢٥٥)، وآخر سورة الحشر^(٣)، وسورة الإخلاص
فيها من الدلالات على وحدانية الله تعالى وأسمائه الحسنی وصفاته العلا
وأصول الاعتقاد ما ليس موجوداً في سورة تبت يدا أبي لهب وما كان مثلها،
وذلك أفضل مما هو موجود فيها. وتلاوة تلك الآيات والسور يحصل بها
ذكر عظيم لله تعالى واعتقاد متجدد لمعانيها الإلهية، ويحصل أثر عاجل

١- انظر تفسير القرآن كلام الرحمن تأليف ثناء الأمر تسري الهندي (ص ٢٤) طبع باكستان.

٢- انظر القرطبي مثلاً عند الآية.

٣- الآيات (٢٢، ٢٣، ٢٤).

طيب علاوة على الثواب المؤجل بتلاوة ما ورد أن له أثراً في الإعادة من الشرور وطرد الوسواس، أما آيات الأحكام كالمواريث والمعاهدات فلا يقع بنفس تلاوتها إقامة أحكامها، وإنما يقع بها علم. ونقول أيضاً: من الآيات ما يكون العمل به أكثر نفعاً للناس وأعوذ عليهم بخير الدنيا والآخرة فيكون أفضل لهم، فأيات الأمر والنهي والتبشير والإنذار تجري مجرى الأصول بالقياس على آيات القصص، فهذه جعلت تبعاً لما لا بد منه، وأريد بها تأكيد الأمر والنهي والتبشير والإنذار، ولا غنى للناس عن هذه الأمور، وقد يستغنون عن القصص.

وقدر الإمام الغزالي صدور سؤال من شخص يقول له: «قد أشرت إلى تفضيل بعض آيات القرآن على بعض، والكلام كلام الله، فكيف يفارق بعضها بعضاً، وكيف يكون بعضها أشرف من بعض؟» وأجاب بقوله: «فاعلم أن نور البصيرة إن كان لا يرشدك إلى الفرق بين آية الكرسي وآية المداينات، وبين سورة الإخلاص وسورة تبت، وترتاع على اعتقاد الفرق نفسك الخوارة المستغرقة بالتقليد فقلد صاحب الرسالة ﷺ، فهو الذي أنزل عليه القرآن وقال: «يس قلب القرآن»^(١) و«فاتحة الكتاب أفضل سور القرآن»^(٢) و«آية الكرسي سيدة آي القرآن»^(٣) و«قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن»^(٤)، والأخبار الواردة في فضائل القرآن وتخصيص بعض السور والآيات بالفضل وكثرة الثواب في تلاوتها لا تحصى»^(٥) هذا كله كلامه، وهو واف بالغرض. وقد يكون فضل آية على أخرى في الثواب كما يذكر كثير من العلماء.

١- في حديث أخرجه أبو داود والنسائي وابن حبان وغيرهم كما في الإتيان (١١٢٣/٢).

٢- أخرجه البيهقي في الشعب والحاكم كما بهامش الإتيان (١١١٩/٢).

٣- في حديث أخرجه الترمذي والحاكم كما بهامش السابق (١١٢١).

٤- أخرجه مسلم وغيره كما في الإتيان (١١٢٨/٢).

٥- الإتيان النوع الثالث والسبعون في الموضوع كله.

-السؤال (٨): يقول أحد طلاب العلم: يمكن أن نفسر معنى من آية إذا
ضممنا إليها آية أخرى، ولا يمكن استنباط هذا المعنى من آية منها على
انفرادها، فإلى أي مدى تصح هذه الطريقة؟
-الجواب:

من أصول التفسير وقانون التأويل معرفة التركيب الصحيح، وهو ضم
آية إلى آية لتفسير معنى لا يستنبط من آية منهما على انفرادها. ونقول:
معرفة التركيب الصحيح لأن هناك ما لا يصح من ضم آية إلى آية وتفسير
معنى، كما سنبينه. وأبدأ بمثال من الصحيح، وهو مثال مشهور، وكان
المعنى المستنبط من ضم الآية إلى أختها منقداً من ورطة كبيرة. وذلك
أن امرأة ولدت بعد ستة أشهر من الزواج، فأراد سيدنا عثمان بن عفان
رضي الله عنه أن يقيم عليها حد الزني، فقال له سيدنا علي رضي الله عنه: ليس ذلك عليها،
قال الله تعالى: ﴿ وَحَمْلُهُ، وَفِصْلُهُ، ثَلَاثُونَ شَهْرًا ﴾ (الأحقاف: ١٥) يعني:
مدة الحمل والرضاع وقال تعالى: ﴿ وَأُولَادَاتُ يُرْضَعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ
كَامِلَيْنِ ﴾ (البقرة: ٢٣٣) يعني والحولان أربعة وعشرون شهراً من ثلاثين،
فيبقى للحمل ستة أشهر، فرجع سيدنا عثمان عن قوله، ولم يحدّها^(١).

والقول بأن أقل مدة الحمل ستة أشهر أطبق عليه الفقهاء والمفسرون، وقال
به الأطباء من قديم، كما في كتب التفسير الكبيرة^(٢). وهذا المعنى القرآني:
أن أقل مدة الحمل ستة أشهر: لا يستفاد من آية واحدة من الآيتين على
انفرادها، كما نرى، وإنما استفيد من تركيب الآيتين إحداهما على الأخرى،
أو بعبارة أخرى من ضم إحداهما إلى الأخرى. ومثال ما لا يصح: أن بعض
الناس استدل بقول الله تعالى: ﴿ وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ (فاطر: ٢٤)،

١- القرطبي (١٨٨/١٦).

٢- انظر مثلاً روح المعاني في تفسير سورة الأحقاف الآية (١٥).

مع قوله تعالى: ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَيْرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَّمٌ أَمْثَالُكُمْ ﴾ (الأنعام: ٣٨) على أن في كل أمة من أمم الحيوانات نذيراً، نبياً منها، أو عالماً يندرها^(١)، قال الإمام الألويسي: والاستدلال بذلك باطل لا يكاد يخفى على أحد. وقال: ورأيت في بعض الكتب أن القول بذلك كفر والعياذ بالله تعالى^(٢). فهذا مثال لما لا يصح من ضم آية إلى آية واستنباط معنى قرآني منها على زعم من زعمه، وما هو بمعنى قرآني، ولا صحيح، لأنه - كما هو واضح - مخالف للمعقول، ومضاد للمعلوم من الدين، من أن البهائم ليست مكلفة، ولا بهذه الصفة.

- ٩ -

-السؤال (٩): هل ترتيب الآيات في سورها - كما نراه في المصحف الشريف - جاء من قبل الله عز وجل؟
-الجواب:

ترتيب الآيات في سورها الذي نعلمه ونطالعه في المصحف الشريف واقع بتوقيف، أي تعليم من النبي ﷺ، بإملاء الآيات على كتاب الوحي، وتعيين الموضوع الذي توضع فيه الآية، وبالتلقين الشفوي لمن أخذوا القرآن من فم النبي ﷺ. ولا يشك مسلم في أن ما علمه النبي ﷺ لأمته قد تعلمه من الوحي.

قال الله تعالى: ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ (النجم: ٣-٤). وقد دلت النصوص على ذلك، ولا نستطيع أن نحصيها. منها ما أخرجه الحاكم على شرط الشيخين عن زيد بن ثابت - رضي الله عنهما - قال: كنا عند رسول الله ﷺ نؤلف القرآن من

١- روح المعاني (١٨٨/٢٢).

٢- روح المعاني (١٨٨/٢٢).

الرفائع^(١) يعني يضمون ما نزل من الآيات المتفرقة في سورها ويجمعونها فيها عند رسول الله ﷺ، يعني بإشارته ﷺ^(٢). وما أخرجه أحمد بإسناد حسن عن عثمان بن أبي العاص أن النبي ﷺ قال: «أتاني جبريل فأمرني أن أضع هذه الآية هذا الموضع من هذه السورة»: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾ (النحل: ٩٠) إلى آخرها^(٣) وما أخرجه البخاري عن ابن الزبير قال: قلت لعثمان -يعني عثمان بن عفان-: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذُرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ (البقرة: ٢٤٠) قد نسختها الآية الأخرى يعني: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذُرُونَ أَزْوَاجًا يَرِيضْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ (البقرة: ٢٣٤) وقال: «فلم تكتبها، ولم تدعها» قال عثمان: يا ابن أخي لا أغير شيئاً منه من مكانه^(٤). وما رواه مسلم أن عمر رضي الله عنه سأل عن الكلاله وأن النبي ﷺ قال له: «تكفيك آية الصيف التي في آخر سورة النساء»^(٥)، آية الصيف أي نزلت في فصل الصيف، والأحاديث الواردة في خواتيم سورة البقرة، وفي الآيات العشر من أول سورة الكهف، وفي العشر من آخرها، وفي قراءته ﷺ لسور عديدة، كسورة البقرة، وآل عمران، والنساء في صلاة الليل، وسورة الأعراف في صلاة المغرب، وقد ألح المؤمنون في صلاة الصبح من أول السورة حتى إذا جاء ذكر موسى وهارون وأخذته سهلة فرجع، وسورة الروم في الصبح أيضاً، و«الم تنزيل» و«هل أتى على الإنسان» في صبح يوم الجمعة، وسورة «ق» في الخطبة، وسورة الرحمن قرأها على الجن، وسورة النجم قرأها على الكفار بمكة وسجد في آخرها، و«واقتربت» مع «ق» في

١- الإتيان بتحقيق البيهقي (١٨١/١).

٢- معناه في السابق (١٨٢).

٣- السابق (١٩٠).

٤- الإتيان (١٩٠/١-١٩١).

٥- السابق (١٩١).

صلاة العيد^(١) والجمعة والمنافقون في صلاة الجمعة وسورة الصف قرأها حتى ختمها على جماعة من أصحابه منهم عبد الله بن سلام رضي الله عنه، وكذا الأحاديث الواردة في سور شتى من المفصل، تدل قراءته ﷺ لها على مشهد من الصحابة على أن ترتيب آياتها توقيفي^(٢).

إلى آخر ما بسطه السيوطي في كتاب الإتيان مع رد بعض الشبهات وذكر نصوص العلماء على الإجماع، ونصّه على أن الأحاديث بلغت مبلغ التواتر، وقال في أثناء ذلك: «وما كان الصحابة ليرتبوا ترتيباً سمعوا النبي ﷺ يقرأ على خلافه»^(٣).

فالعلم اليقيني والقول المجمع عليه أن ترتيب الآيات في سورها جاءنا من قبل الله عز وجل.^(٤)

- ١٠ -

-السؤال (١٠): هل أنزل القرآن الكريم كله في ليلة القدر؟ نرجو بيان ذلك مع إلقاء الضوء على السورة الكريمة.

-الجواب:

الصحيح المعتمد عليه كما قال ابن حجر في شرح البخاري أن القرآن الكريم أنزل كله جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا. وقال بعضهم إن ذلك مجمع عليه^(٥). ثم أنزل شيئاً فشيئاً حسب الوقائع والأحوال على رسول الله ﷺ في مدى ثلاث وعشرين سنة^(٦). وورد

١- السابق والقرطبي (٧٥/١٨).

٢- السابق.

٣- الإتيان - وانظره - (ص ١٩٢).

٤- الإتيان، السابق.

٥- روح المعاني (١٨٩/٣٠ - ١٩٠).

٦- انظر الإتيان للسيوطي أو السابق.

أن أول ما نزل صدر سورة العلق، في ليلة الرابع والعشرين من شهر رمضان، فكانت هي ليلة القدر في تلك السنة. وإنزال القرآن يعني إظهاره من عالم الغيب إلى عالم الشهادة^(١) بالنسبة للملائكة، أو بالنسبة لأهل الأرض.

وفي الصحيح أن النبي ﷺ أخبر بليلة القدر ثم أنسبها، وبأنها في العشر الأواخر من رمضان، وأنها وقعت ليلة إحدى وعشرين. وقال بعض الصحابة: كانت ليلة ثلاث وعشرين. وعند أحمد بسند صحيح التوصية بليلة سبع وعشرين.

وفي البخاري أنها تُلتمس في الليالي الفردية في العشر الأخير. وكذا في الليلة الأخيرة من الشهر في حديث صححه الترمذي^(٢). فيبدو أنها وقعت في هذه الأوقات المعينة في سنوات مختلفة^(٣). وكان أبي بن كعب رضي الله عنه يحلف أنها ليلة السابع والعشرين لأنه رأى أماره لها كان النبي ﷺ قد ذكرها قبل وقوعها في تلك السنة^(٤). وإذا وجدنا ليلة صافية واضحة ساكنة لا حارة ولا باردة، كأن فيها قمراً ساطعاً، لا يرمى فيها بنجم حتى الصباح، فقد تكون هي ليلة القدر، كما يدل عليه حديث عند أحمد والبيهقي وغيرهما عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه، وكذا ما أخرجه ابن جرير في تهذيبه وابن مردويه عن جابر رضي الله عنه مرفوعاً^(٥).

ومن أمارتها أن تطلع الشمس صبيحتها ليس لها شعاع. وفائدة معرفتها في صبيحتها اغتنام يومها، فإن الاجتهاد في العبادة يسن فيه كما يسن فيها^(٦).

١- روح المعاني، السابق.

٢- نيل الأوطار (٢٨٢/٥ - ٢٩٠).

٣- راجع روح المعاني.

٤- السابق (١٩١).

٥- السابق (١٩٣).

٦- السابق.

ومعنى «ليلة القدر» ليلة الشرف والمنزلة العالية، كما نقول: فلان ذو قدر، أي ذو شرف ومنزلة رفيعة. وهي خير من ألف شهر من شهور الأمم السابقة حيث لم يكن لهم ليلة قدر، كما لم يكن لهم ليلة جمعة.

والروح هو جبريل عليه السلام، وخص بالذكر لزيادة شرفه مع كونه النازل بالقرآن الكريم. والملائكة المدبرون لأمر الأرزاق والآجال والحروب والزلازل وغير ذلك يتنزلون من أجل كل أمر من تلك الأمور التي تعلق بها التقدير في تلك السنة إلى قابل، يبشرون أعمالهم. سلام هي، أي الليلة سالمة جداً من الشرور الشيطانية. فما كان من آثام فمن النفس الأمانة بالسوء. و«سلام هي» لكثرة التسليم والمسلمين من الملائكة على المؤمنين فيها^(١).

١- السابق (١٩٧).



الفصل الثاني:
ألفاظ ومصطلحات قرآنية

-السؤال (١): نرجو تمييز التفسير الصحيح من غير الصحيح للخليفة في قول الله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ وهل يجوز أن يقال: (خليفة الله) والله تعالى لا يقوم مقامه أحد؟

-الجواب:

الجمهور على أن الخليفة هو آدم عليه السلام، في قول الله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (البقرة: ٣٠). وخليفة بمعنى خالف أي نائب عن غيره، أو بمعنى مخلوف كذبيحة بمعنى مذبوحة^(١)، فخليفة أي يخلفه غيره، أو مجعول خليفة.

وكونه خليفة في الأرض معناه أنه يعمرها، ويعلم أولاده عمارتها. وهو مكلف بذلك كما قال تعالى: ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ (هود: ٦١) أي طلب منك عمارتها. وآدم يعلم في نفس الوقت أن الله تعالى هو صاحب التصرف الحقيقي، كما قال سبحانه: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطًا مَّا فَطَرْتُمْ فَكَهُونَ﴾ (الواقعة: ٦٣-٦٥). وآدم خليفة الله في إمضاء أحكامه سبحانه وأوامره، لأنه نبي مرسل إلى أولاده وأولادهم الذين كانوا في عهده. وأنزل الله في شرعه لهم تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير^(٢). وكذلك كان كل رسول خليفة لله^(٣)، كما يدل عليه -ولو بالقياس- قول الله تعالى: ﴿يَنْدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾ (ص: ٢٦). ولا يمتنع أن نقول: «خليفة الله» بفهم وقصد للوجه الصحيح، فإن الخليفة مطلقاً هو النائب عن غيره، وقد يكون خليفة لأنه خلف من قد مات، أو لأن من استخلفه عاجز، أو غائب،

١- القرطبي (١/٢٧٩).

٢- القرطبي (٢/٢٧٩-٢٨٠).

٣- السابق أو غيره.

أو استخلفه تشریفًا. ومعلوم أن الثلاثة الأولى ينتزه الله تعالى عنها، أما الرابع وهو التشریف فيجعله الله تعالى حيث يشاء^(١). وبذلك تبين أنه لا يلزم في تحقق معنى الخليفة ما لا يليق بالله تعالى، وأنه يكفي في تحقق معنى الخلافة أن يمكنه من استخلفه ويبيح له التصرف فيما استخلفه فيه تصرفًا يستمد شرعيته من هذا التمكين، وهذا الإذن^(٢). والإنسان في ماله خليفة عن الله تعالى، فهو في الحقيقة مال الله، قال سبحانه: ﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَحْفِلِينَ فِيهِ﴾ (الحديد: ٧)، وقال: ﴿وَأَتَوْهُمْ مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾ (النور: ٣٣). وكل إنسان خليفة بمعنى يؤخذ من تفسير قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ﴾ (فاطر: ٣٩)، ف﴿خَلَائِفَ﴾ جمع خليفة، و﴿خَلَائِفَ﴾ أي رعاة، مسئولين عن رعاياكم، من أنفسكم، وأزواجكم، وأولادكم، وخدمكم وما إلى ذلك، فكل إنسان خليفة في الأرض، وهو راع، وكل راع مسئول عن رعيته^(٣).

- ٢ -

-السؤال (٢): ما هي النفس في القرآن الكريم؟ وما هي النفس المطمئنة؟ وما هي النفس اللوامة؟

-الجواب:

ماهية النفس وحقيقتها:

اختلف الناس في ماهية النفس المختصة بالآدمي. وأقرب الأقوال إلى الصواب: القول بأنها جوهر روحاني، والجوهر الروحاني: ما كان لطيفًا،

١- المفردات للراغب (ص ١٥٦).

٢- جواهر التفسير للخليلي (٢٢/٣).

٣- حاشية الصاوي على تفسير الجلالين (٢٦١/٣). وفي المراجع زيادات مفيدة جدا لم أشر إليها متممة.

لا يرد شعاع الأبصار^(١) وبالتالي لا يرى. وقال كثير من الناس: إن النفس شيء غير الروح^(٢)، وإن أطلقت عليها في بعض الأحيان.

إطلاقات النفس في القرآن:

تطلق النفس في القرآن على ذات الإنسان وجملته، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَا كُنْبَنَا عَلَيْهِمْ أَنْ أَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ (النساء: ٦٦) يعني أن يقتل الرجل نفسه. وتطلق على الروح كما في قوله تعالى: ﴿وَأَلْمَلَيْتُكُمْ بِأَسْطُورٍ أَيْدِيهِمْ أَخْرَجُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ (الأنعام: ٩٣) يعني أرواحكم، وتطلق على القلب كما في قوله تعالى: ﴿زُبُرِكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ﴾ (الإسراء: ٢٥) يعني بما في قلوبكم. وتطلق الأنفس على الجماعة المرتبط بعضها ببعض برباط، قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ (التوبة: ١٢٨) يعني منكم ومن جنسكم^(٣).

ومن ذلك^(٤) قوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ (الحجرات: ١١) يعني أهل دينكم^(٥). والمعنى: لا تعيبوا أهل دينكم فتعابوا.

هل تطلق النفس على أمر خارج عن الذات؟

أطلقت النفس في القرآن وأريد بها أمر خارج عن الذات لكنه مضاف إلى الذات، فقوله تعالى: ﴿وَيُحَذِرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ (آل عمران: ٢٨) أي عقوبته، فجاز أن نقول: النفس هنا تعني العقوبة. وقوله تعالى: ﴿تَعَلَّمْ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ (المائدة: ١١٦) أي تعلم ما في غيبي

١- نزهة الأعين النواظر لابن الجوزي (ص ٥٩٤).

٢- السابق (ص ٥٩٥).

٣- كل ما سبق من الوجوه والنظائر للدماغني (٢٦٧/٢-٢٦٩).

٤- أدخلت هذا وإن كان معدودا نوعا مستقلا عند العلماء وهو «أهل الدين».

٥- المثال مأخوذ من نزهة الأعين النواظر (ص ٥٩٦).

٦- مستفاد من الجلالين مع مزجه بوجه «أهل الدين».

ولا أعلم ما في غيبك. فالنفس هنا تعني الغيب^(١)، وهكذا قال علماء الوجوه والنظائر^(٢).

ما أوصاف وأنواع النفس في القرآن؟

جاء وصف النفس في القرآن بالأمانة بالسوء، واللومة، والمطمئنة. قال تعالى ذاكراً قول امرأة العزيز، أو قول يوسف الصديق عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ (يوسف: ٥٣) أي ميالة إلى القبائح راغبة في المعاصي. وهذا غالب حالها^(٣) وقال تعالى: ﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ (القيامة: ٢) والجمهور على أن هذا مدح، وعليه فهي التي تكثر لوم صاحبها، وتؤنبه على التقصير، نادمة على فعلها، والندم توبة، وقال تعالى: ﴿يَأْتِيَنَّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ (٣٧) ﴿أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ (الفجر: ٢٧-٢٨) وهي النفس المطمئنة بذكر الله ﴿أَلَّا يَذَّكَّرَ اللَّهُ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (الرعد: ٢٨) بعد أن اطمأنت بتحصيل العقائد الصحيحة والأخلاق الفاضلة^(٤)، التي تسكن النفس السليمة إليها^(٥).

١- انظر كتاب مقاتل، وابن الجوزي، والشعالي - مثلاً - في هذا العلم.

٢- كل ذلك في كتاب الوجوه والنظائر للدامغاني السابق.

٣- النيسابوري (١٨٢٨/٣) مع مصحف التهجد.

٤- النيسابوري السابق بتصرف وزيادة (٣٣٧٥/٤).

٥- في المراجع زيادات، منها النفس الملهمة، ومنها في الوجوه والنظائر.

-السؤال (٣): يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾^(١) فما معنى الآية الكريمة؟
-الجواب:

قول الله تعالى: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ (الأنعام: ٢٨) يجوز أن يفسر الكتاب فيه باللوح المحفوظ. وعدم تقريط شيء فيه واضح، من كونه قد أثبت الله فيه كل ما يقع في هذا الكون من الأمور الحادثة. ويجوز أن يفسر الكتاب بالقرآن. ويكون معنى عدم تقريط شيء، فيه أن الله ما ترك شيئاً من أمر الدين إلا دل عليه في القرآن، إما دلالة مبينة مشروحة، وإما مجملة يتلقى بيانها من الرسول ﷺ، أو من الإجماع، أو من القياس الذي ثبت بنص القرآن. قال الله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَيِّدًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ (النحل: ٨٩)، وقال: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَكُرُونَ﴾ (النحل: ٤٤)، وقال: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ (الحشر: ٧) يعني سواء ما آتانا من القرآن وأحكامه المنصوصة فيه، وما لم يذكره فيه، وبهذا يتضح خبر الله تعالى بأنه ما فرط في القرآن من شيء، وأنه ذكر فيه كل شيء من أمور الدين، إما تفصيلاً، وإما بتأصيل أصل يدل عليه، قال عز من قائل: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ﴾ (المائدة: ٣)^(١) وقد استدل ابن مسعود رضي الله عنه على أن القرآن مشتمل على لعن الواصلة والمستوصلة، والواشمة والمستوشمة من لعن الرسول ﷺ^(٢) لهن، مع قوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ (الحشر: ٧) وقال الشافعي رضي الله عنه: إن القرآن مشتمل على حكم المحرم إذا قتل الزنبيور، وهو أنه جائز، ولا شيء عليه، وكانت طريقته في الاستدلال أن الله تعالى قال: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ (الحشر: ٧) فأخذنا بحكم القرآن قوله

١ - كل ما سبق مقتبس بتصريف من القرطبي (٦/٢٩٤-٢٩٥).

ﷺ: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي»، وعمر بن الخطاب منهم، وقد قال عمر: إنه لا شيء على المحرم إذا قتل الزنبيور^(١). إلى آخر ما عند المفسرين والأصوليين في ذلك.

ولا حاجة بالقرآن الكريم إلى شرح علوم الدنيا، فإن لدى الناس مفاتيحها، وهم مكلفون بعمارتها، وترك القرآن لشرحها لا يعد تفريطاً، فإن التفريط والتقصير لا ينسب إلى من ترك ما لا حاجة به إلى علمه أو تفصيله للناس^(٢). هذا والله أعلم.

- ٤ -

-السؤال (٤): ما الفرق بين النصيب والكفل؟ وما الحكمة من جعل النصيب في الشفاعة الحسنة، والكفل في الشفاعة السيئة، في الآية الخامسة والثمانين من سورة النساء؟

-الجواب:

يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْبِلًا﴾ (النساء: ٨٥) الشفاعة مأخوذة من الشفع، وهو أن يصير الإنسان نفسه شفعا لصاحب الحاجة فيجتمع معه على المسألة فيها. والشفاعة الحسنة في الآية الكريمة كانت أساساً تحريضا على الجهاد والأخذ بأغراضه، وأمرًا به على سبيل الرفق والتلطف لا الأمر^(٣). وكان بعض المؤمنين يشفع لمؤمن آخر عند مؤمن ثالث في أن يحصل له ما يحتاج إليه من آلات الجهاد^(٤). كما كانت الشفاعة السيئة في شأن الجهاد أيضا، فكان

١- تفسير الفخر الرازي (١٢/١٧٨-١٧٩).

٢- راجع السابق وفيه زيادة.

٣- تفسير الفخر (١٠/١٦٤).

٤- السابق (ص ١٦٥).

بعض المنافقين يشفع لمنافق آخر في أن يأذن له الرسول ﷺ في التخلف عن الجهاد^(١). وتعم الآية أنواعاً أخرى من الشفاعة. فمثلاً: الدعاء يعد شفاعة، وفي الحديث أن من دعا لأخيه المؤمن بظهر الغيب استجيب له، وقال الملك له: ولك مثل ذلك^(٢) فهذا هو النصيب^(٣) في الشفاعة الحسنة.

وأما الشفاعة السيئة بالدعاء السيئ، وهي على ما قيل سببٌ من أسباب تعددت لنزول الآية: أن اليهود لعنهم الله كانوا يقولون للنبي ﷺ: السام عليكم، يوهومونه أنهم يلقون السلام وهم يدعون عليه بالموت، لأن السام هو الموت، ولكنه ﷺ عرف ما يقولون فكان يجيبهم بقوله: «عليكم»^(٤) يعني أن الموت على الجميع. ومن الشفاعة الحسنة: الصلح بين اثنين^(٥). ولا يخفى أن الشفاعة الحسنة تعم كل مساعدة بالقول في الخير المشروع، كما تعم الشفاعة السيئة كل مساعدة بالقول على أمر غير مشروع^(٦).

وعبر بالنصيب في الشفاعة الحسنة لأن النصيب يشمل الزيادة، وعبر بالكفل في الشفاعة السيئة لأن الكفل هو المثل المساوي، فاختيار النصيب أولاً لأن جزء الحسنة يضاعف، والكفل ثانياً لأن من جاء بالسيئة لا يجزى إلا مثلها، ففي الآية إشارة إلى لطف الله تعالى بعباده^(٧). والكفل بمعنى النصيب في بعض الآيات لكنه هنا بمعنى آخر، فهو هنا مستعار من الكفل وهو الشيء الرديء، مشتق من كفل الدابة وهو مؤخر ظهرها والركوب عليه متعب وصعب شديد، فصار الكفل متعارفاً في كل شدة، فمعنى هذه الآية: من ينضم إلى غيره معيناً له في فعلة حسنة يكون له منها نصيب،

١- السابق (ص ١٦٤-١٦٥).

٢- الفخر السابق، والحديث أخرجه مسلم، قاله الألويسي (٩٧/٥).

٣- الفخر (ص ١٦٥).

٤- الفخر (ص ٣٦٥).

٥- الألويسي، السابق.

٦- الألويسي، السابق.

٧- السابق (ص ٩٨).

ومن ينضم إلى غيره معيناً له في فعلة سيئة يناله منها شدة، هكذا قرره الراغب^(١). وكان الله على كل شيء مقبلاً أي: مقتدرًا، فيجزى بالسيئة مثلها وبالחסنة أضعافها. أو «مقبلاً» أي حفيظًا، فيحفظ أعمال العباد ويحصيها عليهم ويجزيهم بها^(٢). والله أعلم.

- ٥ -

-السؤال (٥): أرجو إلقاء الضوء على ما جاء في القرآن الكريم من ذكر للبصر بمعنى البصيرة، وما البصيرة؟

-الجواب:

جاء البصر في القرآن الكريم بمعنى البصيرة. والبصيرة هي قوة القلب المدركة، وعندما يصرف الإنسان بصره، أي بصيرته، في التفكير، التماسا لحجة مثلا في أمر من الأمور، تسمى بصر في هذه الحالة نظرا عقليا ونسماه «حجة»^(٣) إذا توصل إلى الحجة فيما يقصد، قال تعالى: ﴿فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِنْ فُطُورٍ﴾ (الملك: ٣) أي كرر النظر بمنظار العلم فلن يعلم عيبا في خلقة السماء أو خلا في نظامها. قال المفسرون: «أعد نظر عينيك إلى السماء هل ترى فيها من صدوع وشقوق»^(٤)، وهذا البصر بصر القلب إذا كان سليما كان بصر اعتبار، وكان أصحابه أهلا للقياس والحكم على شيء بحكم ما يشبهه، فإذا رأوا أمة على حال أمة هلكت حكموا بأن مصيرها الهلاك، وإذا وجدوا أمة على سنة أمة استقامت فانصرت علموا أن لها النصر، كما قال تعالى: ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ﴾ (الحشر: ٢) أي اتعظوا بحال بني النضير، ولا تغتروا، ولا تعتمدوا على غير

١- المفردات للراغب الأصفهاني (ص٤٣٦).

٢- الألوسي، السابق.

٣- بصائر ذوي التمييز (٢/٢٢٢-٢٢٤) بمعناه.

٤- الجلالين، هامش الصاوي (٤/١٩٢).

اللَّهُ وقيسوا حالكم بحالهم، فالاعتبار هو القياس أو هو النظر في حقائق الأشياء ليستدل بها على شيء آخر^(١).

أما إذا انطمست البصيرة، واختل البصر - بهذا المعنى - سبيل المعاصي والكفران، فما هو إلا الغفلة والجهالة والغي والعمى^(٢) قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوْنَهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عَٰلَمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشْوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (الجاثية: ٢٣) ﴿وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشْوَةً﴾ أي: ظلمة، فلم يبصر الهدى^(٣). ومن معاني هذه الآية الكريمة: ﴿اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوْنَهُ﴾ أي: اتخذ ما يهواه إلها، فإذا وجد حجرا أحسن في نظره من حجر اتخذ الأحسن صنما يؤلهه ويعبده لو أضله الله على علم يعني أن هذا الضال كان على علم بالحق غير جاهل فهو أشد قبجا. ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ﴾ فلم يسمع الهدى سماع انتفاع به وإن سمعه بأذنيه. ﴿وَقَلْبِهِ﴾ أي: وختم على قلبه فلم يعمل الهدى^(٤)، وإن كان أعقل الناس في أمور الدنيا.

١- المرجع نفسه (ص ٥٨).

٢- بصائر ذوي التمييز (٢/٢٢٢-٢٢٤) بمعناه.

٣- الجلالين، السابق (ص ٤٠).

٤- راجع الجلالين والصاوي (٤/٦٠).

-السؤال (٦): يقول الحق تبارك وتعالى في وصف القرآن الكريم: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾، فما معنى وصف القرآن الكريم بالثقل؟
-الجواب:

وصف الله تعالى القرآن الكريم بالثقل في قوله تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ (المزمل: ٥) والقرآن الكريم ثقیل من عدة جهات، منها:
- الثقل على رسول الله ﷺ حتى كان يتصبب عرقاً في اليوم الشديد البرد.
- ومنها أن العمل بما فيه من التكاليف ذو ثقل على النفوس ومشقة.
فمن طبيعة التكاليف أن تكون فيها كلفة على النفس وإلا ما كانت تكاليف للاختبار.

- أن القرآن ثقيل في الميزان يوم القيامة كما هو شأن الحسنات يثقل بها الميزان ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الأعراف: ٨) بخلاف السيئات فإنها يخف بها الميزان ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ﴾ (الأعراف: ٩).

- ومنها أن القرآن الكريم ثقيل على المنافقين كما قال تعالى في ثقل الصلاة على الكفار ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ (البقرة: ٤٥). وقال تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾ (البقرة: ١٤٣).
- ومنها أن القرآن كلام له وزن ورجحان فعبر عنه بالثقل، كما يقال للرجل العاقل فلان رزين راجح، فليس القرآن بسفساف ولا خفيف.

-السؤال (٧): ذكر في الآية الكريمة السادسة بعد المائة من سورة النحل
أمران: اطمئنان القلب وشرح الصدر، فما الفرق بينهما؟
-الجواب:

يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٠٥﴾ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (النحل: ١٠٥-١٠٦). وإذا علمنا أن القفص الصدري يشتمل على القلب والرئتين وغيرها فيكون الصدر أشمل وأوسع، ثم عدنا إلى لغة القرآن الكريم في شأن الصدر المعنوي والقلب المعنوي وجدنا الأمر كذلك. قال تعالى: ﴿ فَإِنَّمَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ (الحج: ٤٦). وبشيء من التفصيل نقول: القلب في القرآن إشارة إلى العقل والعلم، كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ ﴾ (ق: ٢٧)، والصدر إشارة إلى أشمل وأوسع من ذلك: إشارة إلى العقل والعلم والشهوة والهوى والغضب ونحوها، قال تعالى: ﴿ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا ﴾ (الحشر: ٩) أي: لا يجد الأنصار في صدورهم حسدا للمهاجرين^(١) ولا غيظا مما أعطى الرسول ﷺ المهاجرين من مكاسب الفيء وغيره^(٢)، وأما اختصاص الصدر بالشرح واختصاص القلب بالاطمئنان في الآية السالفة، وغيرها، كقوله تعالى: ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ﴾ (الأنعام: ١٢٥) وقوله تعالى: ﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ (الرعد: ٢٨) فلأن أصل معنى الصدر ونحوه وتشريحه هو بسطه وتوسيع رقعته ومحيطه، ومنه

١- راجع أيسر التفاسير (٢٠٨/٥-٢٠٩)، مع تفسير ابن جزي (ص ٧٥٦).

٢- راجع أيسر التفاسير (٢٠٨/٥-٢٠٩)، مع تفسير ابن جزي (ص ٧٥٦).

شرح الصدر أي بسطه بنور إلهي وسكينة من روح الله، والصدر وعاء القلب وغيره كما سلف بيانه، فناسبه -لظهوره واتساعه- الانسراح الذي يعني البسط. أما القلب فحمل الحركات النفسية والشعورية المتقلبة، فناسبه -عند هدوئها- الاطمئنان^(١).

- ٨ -

-السؤال (٨): كيف كانت السيدة مريم عليها السلام أخت هارون مع الفارق الزمني بينهما؟ وكيف كان الخليل عليه السلام من شيعة نوح عليه السلام مع أنهما لم يتعاصرا؟
-الجواب:

يقول الله تعالى فيما قصه علينا من قول الذين شاهدوا مريم عليها السلام وقد جاءت بابنها عيسى عليه السلام تحمله ولم يسبق لها زوج قال تعالى: ﴿يَتَأَخَذَ هَرُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوًّا وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا﴾ (مريم: ٢٨) وليس المراد بهارون أخا موسى بن عمران عليهما السلام، فقد أخرج مسلم وجماعة عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: بعثني رسول الله إلى أهل نجران، فقالوا: رأيت ما تقرءون: «يا أخت هارون، وموسى قبل عيسى بكذا وكذا؟» قيل بألف سنة، قال المغيرة: فرجعت وذكرت ذلك لرسول الله فقال: «ألا أخبرتهم أنهم كانوا يسمعون بالأنبياء والصالحين قبلهم»، فتفهم من هذا أنهم سمعوا بهارون وصلاحه، وسموا بعض أبنائهم باسمه، وورد أن أبا مريم سمى ولداً له بهذا الاسم هارون من زوجة أخرى غير أم مريم فكان هارون أخاها من أبيها، وكان رجلاً صالحاً، فإذا قصدوا هارون أخا موسى فهي أخت له على سبيل المشابهة^(٢)، كما تقول مثلاً هذه الساعة أخت هذه، أي تشبهها، وإن كانوا قصدوا أخاها من أبيها فالأمر واضح، ويكون

١- راجع كتاب المفارقة القرآنية (ص١٠٣-١٠٤) للدكتور محمد العبد - وزدت قليلا.

٢- روح المعاني (١٦/٨٨).

النجريانيون في ذلك الوقت لم يكونوا عارفين بذلك الأخر.

وأما قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ﴾ (الصافات: ٨٣) فالضمير في شيعة يعود على نوح عليه السلام، وقد شايعه إبراهيم أي تابعه، وهي متابعة في أصول الدين، أما فروع الشريعة فتختلف من رسول لرسول، ونقل عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه شايعه في التصلب في دين الله تعالى، ومصابرة المكذبين^(١).

ومن المعلوم أن بينهما مناسبة كبرى تجعل هذا من شيعة هذا وهي أنها أول رسولين متواليين من أولي العزم، أما من بينهما من رسل فهود وصالح عليهما السلام، فليسا من الخمسة أولي العزم الذين هم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى جميع النبيين، وبهذا فهمنا كيف أن إبراهيم من شيعة نوح مع أن الزمن الفاصل بينهما حوالي ألف وخمسمائة سنة أو أكثر.

- ٩ -

-السؤال (٩): أرجو إلقاء الضوء على معاني الزخرف والزينة في القرآن الكريم ومتى يكون كل منهما ممنوعاً؟ ومتى يكون مرغوباً؟

-الجواب:

الزخرف في القرآن الكريم على ثلاثة أوجه فيما ذكره أهل التفسير:

- أحدهما الذهب ومنه قوله تعالى في سورة الإسراء ﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرٍ﴾ (الإسراء: ٩٣).

- والثاني الحسن ومنه قوله تعالى في سورة يونس: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُونَ عَلَيْهِمْ أَمْرًا لَّيْلًا

١- روح المعاني (٩٩/٢٣) في المراجع زيادة.

أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبْ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ
يُنْفَكُرُونَ ﴿ (يونس: ٢٤).

الثالث التزيين ومنه قوله تعالى قال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ
نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ
عُرُورًا ﴾ (الأنعام: ١١٢)، ولا شك أن هذا زخرف مذموم، لأنه زخرف
من القول يغرون به. والأصل في الزخرف: الزينة والتجسيم يقال زخرف
يزخرف زخرفة، ويقال لكل ما تحصل منه الزينة زخرف، ويقال للذي يزين
كلامه للكذب: يزخرف كلامه^(١)، أما الزخرفة البيانية بمعنى تحسينه
بالمحسنات البديعية في المواضع والمحاضرات العلمية فلا شك ذلك غير
ممنوع بل هو مستحسن، أما الزينة فهي ما يحصل به تحسين الشيء حتى
تتشوق النفس إليه وتشتهيها، وذكر بعض المفسرين أن الزينة في القرآن
على أوجه، أحدها: الحسن ومن قوله تعالى: ﴿ زَيْنٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَوةُ
الَّذِيئًا ﴾ (البقرة: ٢١٢) وفي آل عمران: ﴿ زَيْنٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ
النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْمَنْطَرِ الْمُنْقَطِرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ
الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَعُ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ
حُسْنُ الْمَعَابِ ﴾ (آل عمران: ١٤). فقوله تعالى: ﴿ زَيْنٌ لِلنَّاسِ ﴾ معناه:
حسن للناس، الوجه الثاني في معنى الزينة: الحلي، ومنه قوله
تعالى: ﴿ وَلَكِنَّا جُمَلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ ﴾ (طه: ٨٧)، الوجه الثالث في
قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا ﴾ (يونس: ٨٨)،
زينة: أي زهرة وبهجة زائلة كزهرة تذبذب بسرعة، والمعنى الرابع الخدم
والحشم قال تعالى: ﴿ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ﴾ (القصص: ٧٩)،
المعنى الخامس: الملابس قال تعالى: ﴿ رَبَّنَا آدَمُ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ

١- انظر نزهة الأيمن النواظر (ص ٢٣٥، ٢٣٦)، الأشباه والنواظر لمقاتل (ص ٢٤٦).

مَسْجِدٍ ﴿ (الأعراف: ٣١) أي: ملابسكم الساترة للعودة، ولا يخفى أمر
الزينة المنوعة والزينة المطلوبة فيما ذكرنا... والله أعلم.

- ١٠ -

-السؤال (١٠): أود أن أعرف تفسير الآية الكريمة: (رب المشرقين
والمغربين)، ما معنى ربوبية الله تعالى للمشرقين والمغربين؟
-الجواب:

ربوبية الله تعالى للمشرقين والمغربين معناها أنه تعالى هو الخالق لهما
المتصرف فيهما المدبر لشؤونهما المنفرد بذلك.

وما المراد بالمشرقين والمغربين؟

المراد جهة شروق الشمس، ولها مشرقان: مشرق في الشتاء والربيع وتبدو
فيه قريبة منا، ومشرق في الصيف والخريف، وتبدو فيه بعيدة، مرتفعة
في جو السماء. وجهة غروب الشمس، ولها مغربان في مقابل المشرقين
المذكورين. ونظر بعضهم إلى أن الكرة الأرضية نصفان، لكل نصف مشرق
ومغرب.

- وما المراد بالمشارك والمغارب - هكذا بالجمع كما في بعض الآيات؟

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿فَلَا أُقِيمُ رَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ إِنَّا لَقَدِيرُونَ﴾
(المعارج: ٤٠).

ويراعى في هذا الجمع أن للشمس كل يوم مشرقاً، فإنها لا تنتقل مرة
واحدة من المشرق القريب في الشتاء إلى المشرق المرتفع في الصيف، بل
تنتقل من نقطة إلى نقطة، يوماً بعد يوم، فهي نقاط ومشارك. وكذا يقال
في المغارب. وجعل بعضهم تعددها بتعدد مطالع البلاد والأقاليم، وتعدد
مغاربهم كذلك.

- في بعض الآيات: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ بالإفراد، فما وجهه؟

ورد قوله تعالى: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ في الآية الثامنة والعشرين من سورة الشعراء، وغيرها^(١). وهنا نقول: المشرق: جهة الشروق، وهي واحدة، والمغرب كذلك. والجهتان من الجهات الأربع الأصلية للأرض كما نعلم، فإفراد المشرق منظور فيه إلى الجهة، وتثنيته منظور فيها إلى أدنى نقطة، وأبعد نقطة في الجهة، والجمع منظور فيه إلى النقاط الواقعة في الجهة، والدرجات التي تنتقل فيها الشمس. وهكذا يقال في المغرب^(٢)، والمغربين، والمغارب.

ونود ذكر نبذة عن آلاء الله تعالى في تدبير أمور الشروق والغروب:

الشمس عماد الحياة في هذا الكوكب الأرضي، ومحور دوران الأرض على مستوى مدارها حول الشمس مائل بمقدار معين، مما جعل الشمس تشرق وتغرب على نقاط مختلفة يومياً، ويطول النهار، ويقصر الليل، ثم ينعكس أمرهما في الطول والقصر، وهكذا، إلى آخر ما يعلمه من يعلمه من تدبير محكم صالح لأحوال الأحياء على الأرض، إذ تحدث منه الفصول المناخية، وما يترتب عليها من مواسم الزرع، والحصاد^(٣)، ويعتدل الهواء، إلى ما لا يحصى من الفوائد^(٤) والله أعلم.

١- سورة المزمل (الآية ٩).

٢- كل ما سبق مقتبس بتصريف كبير من تفاسير ابن كثير والآلوسي وابن عاشور.

٣- التعليق العلمي على المنتخب في تفسير القرآن الكريم (ص ٧٩٢) بتصريف واقتصاد.

٤- تفسير الآلوسي «روح المعاني» (١٠٥/٢٧).

-السؤال (١١): يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ (الأنبياء: ٣٣) ويقول سبحانه: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ (الأنعام: ١) فما الفرق بين الخلق والجعل؟ وكيف خلق الله الليل والنهار؟

-الجواب:

الفرق بين الخلق والجعل أن الخلق هو إيجاد الشيء وتكوينه وتقديره بمقدار دون ملاحظة شيء ثان ينتسب هو إليه أو يكون بينه وبينه ارتباطاً.

أما الجعل فهو إيجاد الشيء وتكوينه على حالة خاصة^(١)، كأن يكون المفعول مخلوقاً لأجل غيره أو منتسباً إلى غيره. ومجمل ذلك أن في معنى الجعل اعتبار شيئين وارتباطاً بينهما^(٢). فإذا أريد المعنى الأول عبر عنه بالخلق، وإذا أريد المعنى الثاني عبر عنه بالجعل. ونبين ذلك في الآيتين الكريمتين مع بقية الإجابة فنقول: قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ هذه الآية الكريمة جاءت في سياق المنة والعبرة، وذلك في إيجاد نفس الليل والنهار، ونفس الشمس والقمر، فعبر عن هذا الإيجاد بفعل الخلق. وخلق الليل هو جزء من جزيئات خلق الظلمة التي أوجد الله الكائنات فيها^(٣) قبل خلق الأجسام التي تفيض النور على الموجودات، فإن الظلمة عدم والنور وجودي وهو ضد الظلمة، والعدم سابق للوجود. فالحالة السابقة لوجود الأجرام النيرة هي الظلمة، وفي الحديث: إن الله خلق الخلق في ظلمة، فألقى عليهم من نوره... الحديث رواه أحمد والترمذي. والليل ظلمة ترجع لجرم الأرض عند انصراف الأشعة عن

١- ابن عاشور (٥٦/١٧).

٢- المظهري (٢١٢/٣).

٣- السابق نفسه (٢١٢/٣).

الأرض. وأما خلق النهار فهو بخلق الشمس ومن توجه أشعتها إلى النصف المقابل للأشعة من الكرة الأرضية. فخلق النهار تبع لمجموع ثلاثة أشياء هي خلق الشمس وخلق الأرض ومقابلة الأرض لأشعة الشمس.^(١)

وقال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ (الأنعام: ١). وفي الجعل ملاحظة معنى الانتساب كما أشرنا. ويعرف المنتسب إليه بمعونة المقام. والظلمات والنور لما كانا عرضين والعرض لا يقوم بنفسه كان خلقهما تكويناً لتكيف بهما موجودات السموات والأرض. وقد عرف ذلك بذكر ﴿الظُّلُمَاتِ وَالنُّورِ﴾ عقب ذكر ﴿السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، كما عرف باختيار لفظ الخلق للسموات والأرض ولفظ الجعل للظلمات والنور^(٢). ويفترق جَعَلَ عن خَلَقَ أيضاً فيأتي بمعنى شَرَعَ^(٣)، كما في قوله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ﴾ (المائدة: ١٠٢) أي: ما شرع البحيرة، ما شرع تحريم أكلها، وكانوا في الجاهلية يحرمونها، وهي الناقة التي تشق أذنها وتغلى للطواغيت إذا ولدت خمسة أبطن آخرها ذكر^(٤). لكن يبعد أن نفسر به آية^(٥)، ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ (الأنعام: ١).

١- ابن عاشور (٥٦/١٧).

٢- ابن عاشور (١٢٦/٧-١٢٧).

٣- المظهري (٢١٢/٣).

٤- كلمات القرآن تفسير وبيان للشيخ حسنين محمد مخلوف (ص ٦٩).

٥- وفي المسودة محاولة إضافية لتفسيرها.

-السؤال (١٢): يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ ،
ويقول: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾ ، ويقول: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ :
فما المراد من هذه الآيات الكريمة؟

-الجواب:

المشرق هكذا باللفظ المفرد يقصد منه جهة الشروق، وهي إحدى الجهات
الأصلية الأربع المعروفة، وهي واحدة. وبالنظر إلى كونها واحدة يكون المشرق
واحداً، وعلى ذلك جاء قوله تعالى: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ (الشعراء: ٢٨).
والشمس تُرى في بعض أيام الصيف في أعلى مكان، وفي بعض أيام الشتاء
في أقرب مكان، وبالنظر إلى أعلى نقطة لشرق الشمس وإلى أقرب نقطة
لشروقها، وهما نقطتان اثنتان، يكون هناك مشرقان أي مكانان لشرق
الشمس، أعلى، وأدنى، وبهذا يفسر المثني في قوله تعالى: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ
الْمَغْرِبَيْنِ﴾ (الرحمن: ١٧).

ونظر بعضهم إلى أن الكرة الأرضية نصفان، ولسكان كل نصف منهما
مشرق يعرفونه، فهما مشرقان الشمس بالنسبة إلى نصفي الأرض، ثم
يقول: إن شروق الشمس على مصر مثلاً يكون من أعلى نقطة في الشرق مرة
في السنة ومن أقرب نقطة في الشرق مرة، وبين النقطتين تنتقل الشمس كل
يوم، فهي لا تنتقل فجأة من أعلى نقطة إلى أدناها، كما هو واضح، وبالنظر
إلى تعدد نقاط الشروق بتعدد أيام السنة تعتبر كل نقطة منها مشرقاً،
وتكون مشارق الشمس كثيرة، لكل يوم مشرق، أي مكان شروق، أو نقطة
شروق، وبهذا يفسر الجمع في قوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغْرِبِ إِنَّا
لَقَدِيرُونَ﴾ (المعارج: ٤٠).

وخلاصة ذلك كله أن المشرق هو جهة الشروق، والمشرقين هما أعلى نقطة

وأدنى نقطة في جهة الشروق، والمشارك هي نقاط الشروق في الجهة، لكل يوم نقطة شروق، وما وضحناه يقال نظيره في المغرب^(١)، والمغربين، والمغرب، والله تعالى رب ذلك. وفي ربوبيته في الآية وتدييره لأمر الشروق والغروب نقول: الشمس عماد الحياة في كوكبنا الأرضي، ومحور دوران الأرض على مستوى مدارها حول الشمس مائل بمقدار معين، مما جعل الشمس تشرق وتغرب على نقاط مختلفة يومياً، ويطول النهار ويقصر الليل، ثم العكس، وتحدث الفصول الأربعة، وتترتب مواسم الزرع والحصاد^(٢)، ويعتدل الهواء إلى آخر ما هناك من تديير، ومصالح^(٣). والله أعلم.

- ١٣ -

-السؤال (١٣): ما معنى الآية، والآيات في القرآن الكريم؟

-الجواب:

معنى الآية في لغة العرب: العلامة الظاهرة، وهو معنى يُلاحظ من تدبر معاني اللفظ في موارد سياقاته القرآنية. ويقال للبناء العالي آية، لأنه علامة ظاهرة على براعة الباني، قال تعالى: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ﴾ (الشعراء: ١٢٨).

﴿بِكُلِّ رِيعٍ﴾ أي: بكل مكان مرتفع^(٤). ويقال لكل جملة من القرآن دالة على حكم آية، لأنها علامة تُعلم به، حتى السورة بتمامها وكذا مجموعة الآيات التي تكون في موضوع واحد من سورة طويلة، يقال لها آية بالإفراد أيضاً. وكل كلام منفصل بفصل لفظي من القرآن آية، بالإطلاق المعروف المشهور الذي تعد به السورة.

- ١- كل ما سبق مأخوذ معناه بتصريف كبير من ابن كثير. والآلوسي، وابن عاشور.
- ٢- انظر التعليق العلمي على المنتخب في التفسير (ص ٧٩٢) بتصريف واقتصار.
- ٣- انظر روح المعاني (١٠٥/٢٧).
- ٤- المفردات للراغب (ص ٢٠٨).

وفي القرآن في مواضع ﴿ آية ﴾ بالإفراد، وفي مواضع «آيات» بالجمع. وقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً ﴾ (المؤمنون: ٥٠) ولم يقل: آيتين، لأن كل واحد صار آية الآخر على حد تعبير الفيروز آبادي في بصائر ذوي التمييز. والآيات هي الدلائل والعلامات الدالة على القدرة الإلهية، كما في قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ﴾ (الشورى: ٢٩). والآيات بمعنى آيات القرآن في قوله تعالى: ﴿ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ ﴾ (آل عمران: ٧) وبمعنى معجزات الرسل في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرٍ وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴾ (القصص: ٣٦). وبمعنى الأمر والنهي في قوله تعالى: ﴿ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ (البقرة: ١٨٧). وتكون الآية عبارة عن العون والنصرة، كما في قوله تعالى: ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلِهِمْ رَأَى الْعَيْنُ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴾ (آل عمران: ١٣).

وابتلاء واختبار، كما قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ، بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبُّ غَفُورٌ ﴾ (سبأ: ١٥)، والآيات بمعنى الحجج والبراهين في قوله تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ (فصلت: ٥٣). وبمعنى الأمانة الواضحة، كما هو أصلها اللغوي، في قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ﴾ (آل عمران: ٤١) أي: علامة على وجود الحمل^(١). إلى غير ذلك من الملابسات^(٢).

١- بتصرف من جامع البيان (٨٥/١).

٢- عامة ما سبق مأخوذ بتصرف من بصائر ذوي التمييز (٦٢-٦٦).

-السؤال (١٤): من أسماء الله تعالى في القرآن الكريم: «الغافر»، و«الغفار»، و«الغفور»، فما الحكمة من تعددها وهي كلها من المغفرة؟
-الجواب:

اسمه تعالى «الغافر» يشير إليه قوله سبحانه: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ الذَّنْبِ﴾ (غافر: ٢-٣) وهو يدل على اتصاف الله تعالى بأصل هذا الاسم، وهو المغفرة^(١) وفيه بشرى عظيمة، وإن لم يشير إلى أن المغفرة تتكرر بتكرر الذنب أو تحصل مرة واحدة ولا يغفر الذنوب الثانية. واسمه تعالى «الغفار» مذكور في عدة آيات، منها قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ (طه: ٨٢) وهو يدل على ما يدل عليه اسمه السابق وزيادة، وهي «تكرر المغفرة بتكرر الذنب»^(٢) إذا شاء سبحانه، أو إذا تاب العبد وعمل بما في الآية الكريمة المذكورة، أقول هذا بناء على أن العرب تطلق وزن فعال ومنه «غفار» على من كرر الفعل كما قاله الإمام الحريري^(٣). واسمه تعالى «الغفور» يدل على اتصاف الله تعالى بأصل هذا الاسم وهو المغفرة وزيادة، وهي أنها مغفرة عظيمة، تمحو الذنب العظيم، فضلاً عن الصغير.

أقول هذا بناء على أن العرب تطلق وزن فِعُول ومنه «غفور» على من بالغ في الفعل، وكان قوياً عليه، كما قاله الإمام المذكور سابقاً^(٤).

وهذا الاسم الكريم مذكور في آيات كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ﴾ (البروج: ١٤). فالحكمة من تعدد هذه الأسماء الكريمة: الإشارة

١- راجع - مثلاً - الفاكهي على قطر الندى (٢٠١/٢).

٢- انظر وراجع الفاكهي على شرح القطر (٢٠١/٢).

٣- انظر وراجع الفاكهي على شرح القطر (٢٠١/٢).

٤- انظر السابق.

إلى المعنى من جهاته المختلفة. فإذا استبشر العبد بأن الله تعالى يغفر بمقتضى اسمه «الغافر» ثم قال في نفسه: وهل يغفر كلما أذنبت ورجعت، أو يغفر لي مرة واحدة ويمحو الذنب الأول فقط - إذا قال العبد هذا ثم علم معنى اسمه «الغفار» علم أنه تعالى يكرر المغفرة. وإذا قال العبد في نفسه: وهل يغفر سبحانه الذنوب الصغيرة فقط، ثم علم معنى اسمه تعالى «الغفور» علم أنه تعالى يغفر الذنب العظيم. والمغفرة كالغفران والغفر بمعنى الستر^(١) أساساً، والستر معنى ينبغي أن يتخلق العبد به، ويستتر على أخيه، ويعفو، فإن للعبد خطأً أي نصيباً من كل اسم من أسمائه تعالى ينبغي أن يحصله العبد ويتصف به^(٢) وقد قال تعالى: ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لِمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (الشورى: ٤٣)، وقال: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ (الشورى: ٤٠)، وقال ﷺ: «ومن ستر على مسلم في الدنيا ستر الله عليه في الدنيا والآخرة» رواه مسلم في حديث طويل^(٣).

- ١٥ -

-السؤال (١٥): أطلق القرآن الكريم ﴿وَسَيِّدًا﴾ ووصفاً لسيدنا يحيى ﷺ، وجاء في الحديث الشريف: «السيد الله». فما المراد من السيادة في القرآن والسنة؟

-الجواب:

قدم شخص قريب عهد بالإسلام على رسول الله ﷺ وقال: أنت سيد قريش، أنت سيدنا، فقال ﷺ: «السيد الله» ينهاه بذلك عما قاله، لأنه

١- راجع - مثلاً - لسان العرب مادة ع فر.

٢- راجع - مثلاً - المقصد الأسنى لحجة الإسلام الغزالي، ولوامع البينات للفخر الرازي في الاسمين الكريمين «الغفار - الغفور» وفيهما زيادات ناعمة وتعبير الغزالي متفق مع ما قاله الحريري في الفرق بين معني الاسمين الكريمين.

٣- انظر المتجر الرابع (٢/٢٠٢) مسلسل (٨٤٦١).

قاله معتقداً أن النبي ﷺ مثل رؤساء القبائل، ساد على قومه ورعيته بالمال والجيش وأسباب الدنيا. كأنه ﷺ قال له: ليست سيادتي بذلك، بل أنا أسودكم بالنبوة والرسالة، ولا تحسبوا أن السيادة بالنبوة هي بأسباب الدنيا. ومع هذا نقله النبي ﷺ عن كل معنى لسيادة بشر بدنياً أو نبوة إلى المعنى الحقيقي للسيادة، فإن السيد حقيقة هو الله لا غيره أي هو الذي يحق له السيادة المطلقة، فحقيقة السؤدد ليست إلا له، وهو الذي يملك نواصي الخلق، ويتولى أمرهم، ويسوسهم، إذ الخلق كلهم عبيده، يتصرف فيهم كيف شاء. فلا يستعمل هذا اللفظ على جهة التعاضم، ولا على أن السيادة بالنبوة كسيادة رؤساء القبائل، ولا على أن السيادة الطارئة بسبب النبوة كالسيادة الذاتية الحقبة الكاملة الكمال المطلق، فهذه ليست إلا لله تعالى.

فإذا علم ذلك، واستقر، وامتألت به نفس المؤمن لم يخش عليه أن يعرف بقدر صاحب القدر على مستواه البشري فإن المؤمن يقول: الله حفيظ، والله عليم، وسيدنا يوسف ﷺ قال: ﴿إِنِّي حَفِيفٌ عَلَيْهِمُ﴾ (يوسف: ٥٥)، ولا يسوي المؤمن بين وصف الله تعالى بحفيظ عليم، ووصف غيره تعالى بذلك - حاشا.

وعلى هذا جاء في القرآن الكريم: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (آل عمران: ٣٩) أي: إماماً متبوعاً يقتدى به. وجاء فيه: ﴿وَأَلْفِيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ﴾ (يوسف: ٢٥) سيدها أي زوجها، سمي بذلك لسياسته لزوجته، وفيه: ﴿إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا﴾ (الأحزاب: ٦٧) أي: ولاتنا وسائسنا. وجاء في الحديث الشريف على سبيل التعريف بقدر ذوي القدر قوله ﷺ: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر» وفي مكانة سيدنا الحسن رضي الله عنه: «إن ابني هذا سيد»، وفي مكانة سيدنا سعد بن معاذ رضي الله عنه: «قوموا إلى سيديكم».

ومن شرط سيد الجماعة، أي المتولي لشئونها أن يكون مهذب النفس،
ولهذا قيل لكل من كان فاضلاً في نفسه: سيد. والله ورسوله أعلم؟

- ١٦ -

- السؤال (١٦):

أ- ما المراد من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ
وَالْمُنْكَرِ﴾ (العنكبوت: ٤٥)؟ وكيف نجمع بين هذه الآية والحديث
الذي يقول: «من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فلا صلاة له»؟
ما الفرق بين الفحشاء والمنكر؟

- الجواب:

فالفحشاء هي ما تباحش في القبح فكان غير مقبول في نظر الناس.
والمنكر هو ما أنكره الشرع الشريف. فجهة الذم مختلفة، فهي في الفحشاء
تجاوز الحد المقبول عند الناس، وفي المنكر أن الشرع ينكره ولا يقره.

فهما نوعان نظراً إلى اختلاف جهة الذم وإلا فكل فحشاء منكر وكل منكر
فحشاء، سواء في حكم النظر الصحيح، وسواء في حكم الشرع الشريف.

ب- الصلاة لا تنهى بنفسها عن الفحشاء والمنكر، فما وجه إسناد ذلك
إليها؟

- الجواب:

الصلاة وإن كانت لا تنهى بنفسها لكنها سبب للانتهاء، وتيسر ترك
الفحشاء والمنكر، فهذا هو وجه إسناد النهي إليها.

ج- ما المعنى الذي كانت به الصلاة ناهية عن الفحشاء والمنكر، وميسرة لتركهما وسبباً لئلا ينتهيا عنهما؟

الجواب:

المعنى الذي كانت به الصلاة كالوعظ الذي ينهى عن المعاصي، ويذكر بالله تعالى بتذكير بعد تذكير أنها تشتمل على أقوال وأفعال من شأنها أن تكون للمصلي كالوعظ.

د- ما الأقوال الوعظية في الصلاة؟

الجواب:

في الصلاة من الأقوال تكبير لله، وتحميد، وتسبيح، ودعاء، واستغفار، وقراءة الفاتحة المشتملة على الحمد والثناء على الله، والاعتراف بالعبودية له.

وطلب الإعانة والهداية منه. والإقلاع عما يفضي إلى غضبه، وذلك ردع عن الفحشاء والمنكر.

هـ) وماذا في الصلاة من أفعال ناهية عما يغضب الله تعالى؟

الجواب:

في الصلاة أفعال هي خضوع وتذلل لله تعالى، من قيام وركوع وسجود. وذلك بذكر لزوم اجتلاب مرضاته والتباعد عن سخطه. وكل ذلك مما يردع عن الفحشاء والمنكر. وفي الصلاة أعمال قلبية من نية، واستعداد للوقوف بين يدي الله. وذلك يذكر بأن المعبود جدير بأن تمتثل أوامره، وتجتنب نواهيه.

و) ظاهر الآية أن الصلاة مطلقاً تنهى عن الفحشاء والمنكر، وظاهر الحديث أن هناك من لا تنهيه صلاته عنهما، فكيف نوفق بين الآية والحديث؟

الجواب:

الصلاة واعظ مبارك وبركة تنقل المصلي في الغالب من أحواله السيئة إلى ما يرضي الله تعالى. ونقول -في الغالب-؛ لأن من ينهى غيره عن شيء ينهيه، وليس من المحتم أن يستجيب الغير وينتهي. فالصلاة تنهى ولا تحول المصلي بالفعل من حال إلى حال. وبذلك نفهم أن معنى «من لم تنهه صلاته» من لم يستجب للنهي فلا قدر لصلاته، لأنها لم تثمر.

- ١٧ -

-السؤال (١٧): أرجو إلقاء الضوء على معاني (الصلاة) في الآية الثالثة بعد المائة من سورة التوبة، والآية السادسة والخمسين من سورة الأحزاب.

الجواب:-

في لغة العرب ومن لغة القرآن الكريم أن يكون للفظ معنيان فأكثر، ويرد في مواضع يختلف معناه باختلافها. ويتم التعرف على معناه المناسب للموضع عن طريق السياق أو المقام، أو القرينة العقلية، أو غير ذلك.. والصلاة من تلك الألفاظ التي تفسر في كل موضع تفسير. ففي الدعاء في قول الله تعالى: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (التوبة: ١٠٣) فهذه الصلاة على من أعطى زكاة ماله هي الدعاء له بالخير، وكان هذا الدعاء منه ﷺ سَكَنًا وَطْمَأْنِينَةً وراحة نفسية عظيمة للمصلى عليه، أي المدعوه له.

ولا يتصور أحد أنها صلاة ركعتين أو صلاة جنازة مثلاً. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (الأحزاب: ٥٦) يتضمن أن الله تعالى يصلي على نبيه ﷺ، وكذا الملائكة، وكذا المؤمنون عندما ينفذون هذا الأمر. وصلاة الله هنا هي حسن الثناء منه سبحانه وتعالى على مصطفاه وكم أتى عليه سبحانه أو صلى، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ (الأحزاب: ٤٥-٤٦) فهذه صلاة من الله تعالى أي ثناء على مصطفاه ومدح له وتشريف وتكريم، أما صلاة الملائكة فدعاء للنبي ﷺ، واستغفار.

أما صلاتنا نحن فتشبهه صلاة الثلاثة، فهي دعاء واستغفار وثناء ومدح وطلب الزيادة في شرفه ﷺ، فندعو له بالوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة، ونعمل بقول الله تعالى: ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ (الفتح: ٩) فنعززه ﷺ أي ننصره وذلك بنصر دين الإسلام وإحياء السنة النبوية، ونوقره أي نعظمه. وذلك بالثناء عليه والتعريف بفضائله ورفيع خصائصه، وعظيم قدره وشرفه. وأما صلاتنا عليه ﷺ بعد التشهد فتعلم خاص وصيغة خاصة، عن النبي ﷺ، فتنقيد بألفاظها في موضعها من الجلوس الأخير في الصلاة.

- ١٨ -

-السؤال (١٨): لماذا سميت الصلاة المعهودة لنا صلاة؟ وما أنواعها في القرآن الكريم؟
-الجواب:

الصلاة المعروفة سميت ببعض ما فيها، وهو اللين والخشوع، يقال: صلى العود أي لينه، فالمصلي يلين في صلاته ويخشع، قال تعالى: ﴿قَدْ

أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿﴾ (المؤمنون: ١-٢)،
﴿تَلِينَ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ (الزمر: ٢٣) أو سميت من الصلاة
بمعنى الدعاء، والدعاء أيضاً بعض ما يكون فيها. وهي بهذا المعنى وأعني
الدعاء في قوله تعالى ﴿حُدِّثُوا أَنفُسَكُمْ بِصَلَاتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْتَكِبُونَ فِيهَا صَلَاتِ
عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَاتَكُمْ سَكَنٌ لَهُمْ﴾ (التوبة: ١٠٣) ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ أي ادع لهم لأن
صلاتك أي دعاءك ﴿سَكَنٌ لَهُمْ﴾ أي سكينه وطمأنينة. وأنواعها أو المراد
بها في القرآن الكريم: الدين، والإسلام، والقراءة، وغير ذلك. وأقتصر
على ما يلي: قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَسْعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرَكَ
مَا يَبْدُءُ آبَاؤُنَا﴾ (هود: ٨٧) الصلاة هنا: الدين، والمعنى: أدينك يأمر
بترك عبادة الأصنام وهي معبودة آباءنا؟ هذا أحد الأقوال هنا، ذكره ابن
عبد السلام وغيره. وقوله تعالى: ﴿فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى﴾ (القيامة: ٣١) أي
ولا أسلم. فالصلاة: الإسلام كما يؤخذ من بصائر ذوي التمييز. والآية
الكريمة تتحدث عن الإنسان المذكور في أوائل السورة، الذي يريد ليفجر
أمامه يسأل أيا يوم القيامة، فلم يصدق بقلبه، ولم يعمل ببذنه.

والجمهور على أنها في أبي جهل، فيندرج فيها أمثاله. وقوله تعالى:
﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتُ بِهَا﴾ (الإسراء: ١١٠) يعني بالصلاة قراءة
القرآن. أمر ﷺ بالأجهر بها وهو يصلي إذا كان المشركون إذا سمعوه
سبوه، وأمر بالألطف صوتاً بها إلى درجة لا يسمعه فيها أصحابه رضي
الله عنهم الذين يصلون معه. وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّتَّ
أَبْدًا﴾ (التوبة: ٨٤) الصلاة هنا صلاة الجنائز. نهى ﷺ عن الصلاة على
المنافقين لأن صلاته شفاعة مقبولة فتتعارض مع كونهم في الدرك الأسفل
من النار، والعياذ بالله تعالى.

-السؤال (١٩): ما سبب نزول الآية الكريمة الثانية والسبعين من سورة المؤمنين؟ وما المراد بالخراج فيها؟ وما الفرق بين الخراج والزكاة؟ أرجو الإفادة...

-الجواب:

يقول الله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ ﴿المؤمنون: ٦٨-٧٠﴾ الآيات إلى قوله تعالى: ﴿ أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَجَ رَيْكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّزَاقِينَ ﴾ (المؤمنون: ٧٢). اشتملت هذه الآيات الكريمة أسئلة وأسباباً خمسة حول إقدام المشركين على ضلالتهم وإعراضهم عن آيات الله:

السبب الأول: أن لا يتأملوا في دليل النبوة، وهو القرآن المعجز. وهذا من قوله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ ﴾ (المؤمنون: ٦٨) وليس هذا سبباً مبرراً لإعراضهم، لأنهم تدبروا وعرفوا إعجاز القرآن.

السبب الثاني: أن يعتقدوا أن بعثة الرسول أمر غريب لم يرد له نظير عن السابقين. وهذا من قوله تعالى: ﴿ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴾ (المؤمنون: ٦٨). ولا محل لهذا لأنهم قد عرفوا بالتواتر أن الرسل كانت ترسل إلى الأمم، كنوح وإبراهيم عليهما السلام.

السبب الثالث: أن لا يكونوا عالمين بأمانة من جاءهم بالرسالة، وصدقه من قبل مجيئه بها. وهذا في قوله تعالى: ﴿ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴾ (المؤمنون: ٦٩). وليس الأمر كذلك، فإنهم قد عرفوا قبل أن يأتيهم بالرسالة أنه في نهاية الأمانة والصدق، فكيف كذبوه بعد أن اتفقت كلمتهم على تسميته بالصادق الأمين.

السبب الرابع: أن يعتقدوا فيه الجنون، كما قال تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ

حَتَّةٌ ﴿المؤمنون: ٧٠﴾، أي جنون يحمله على ادعاء الرسالة. وهذا أيضاً فاسد لأنهم كانوا يعلمون أنه أعقل الناس.

السبب الخامس: في قوله تعالى: ﴿أَمْ سَأَلْتَهُم خَرْجًا﴾ (المؤمنون: ٧٢) أي أجراً في مقابل هدايتهم وتبليغ الرسالة إليهم^(١). وهذا منتف أيضاً ولكن الله ذكره سبراً وتقسيماً واستكمالاً لاحتمالات لإلزامهم^(٢) بالحجة. فالمنعنى أنه لا يسألهم أجراً فيثقل الغرم عليهم أو يبخلوا به فيكون علة إعراضهم^(٣). وبهذا ينتهي الأمر إلى أن التقصير إنما هو من جهتهم، لكرهاتهم للحق، وعدم تدبرهم.

والخراج في الآية الكريمة بمعنى العطاء والرزق الواسع المضمون دنيا وأخرى للرسول ﷺ من ربه الكريم. أما الخراج الذي يذكر مع الزكاة فهو ضريبة تؤخذ من الأموال غير حصة الزكاة، أو تؤخذ على أرض موقوفة يدفعها من يستثمرها غير زكاة زرعها وثمرها إلى غير ذلك من تفصيل لا يتسع له المقام^(٤). وليس للآية سبب نزول بالمعنى الاصطلاحي^(٥) بل هي كسائر آيات القرآن الكريم نزلت لهداية البشر وسعادتهم في الدارين^(٦)... والله أعلم.

-
- ١- انظر حاشية الجمل في هذه الآيات، ونحو القونوي على البيضاوي.
 - ٢- وفي المراجع زيادات مفيدة، في الألويسي وابن كثير وابن عاشور والطبري والخازن والبيضاوي والمظهري وابن جزى ومعين الدين صاحب جامع البيان - وهو الذي ذكر السبر والتقسيم والإلزام.
 - ٣- انظر حاشية الجمل في هذه الآيات، ونحو القونوي على البيضاوي.
 - ٤- انظر مثلاً القاموس الفقهي تأليف أبي حبيب، (٤١١-٥١١)، والمعجم الوسيط مادة «خرج» وغيرهما.
 - ٥- أسفرت عن ذلك مراجعات لكتب متخصصة.
 - ٦- انظر تعريف «داعي النزول»، و«سبب النزول» في كتاب البيان للمرحوم الشيخ عبد الوهاب غزلان رحمه الله تعالى.



الفصل الثالث:
في التناسب البياني

-السؤال (١): جاءت الآية السادسة والثمانون بعد المائة من سورة البقرة في موضوع الدعاء بين آيات أحكام الصيام، فما تفسيرها؟ وما مناسبتها في هذا الموضع؟

-الجواب:

لما أمر الله تعالى بصيام شهر رمضان، ومراعاة عدة الأيام، وحث على القيام بوظائف تكبيره وشكره سبحانه عقب هذه الآية الكريمة: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَيُؤْمِنُوا بِمَا لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (البقرة: ١٨٦) دلالة على أنه تعالى قريب فهو خبير بأفعال المكلفين بالصيام وسائر الشريعة، سمع لأقوالهم، مجازيهم على أعمالهم. وفي ذلك تأكيد لما سبق، وحث عليه^(١)، فالآية مناسبة لموقعها تمام المناسبة، ومعطوفة على الجمل السابقة المتعاطفة، أي لتكملوا العدة، ولتكبروا، ولعلكم تشكرون، وتدعون فأستجيب لكم. إلا أنها جاءت بمخاطبة النبي ﷺ وحده لأنه في مقام التبليغ، فحصل في خلال ذلك تعظيم شأن النبي ﷺ بأنه يسأله المسلمون عن أمر الله تعالى. وذكر الدعاء هنا بعد ذكر الشكر يشعر بأنه ينبغي أن يسبق الشاء الدعاء.

وقال تعالى: ﴿فَأِنِّي قَرِيبٌ﴾ ولم يقل: فقل لهم إنني قريب: إيجازاً لظهوره من قوله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي﴾، تنبيهاً على أن السؤال مفروض غير واقع منهم بالفعل، أضف إلى ذلك أن الأسلوب يبدو وكأن الإجابة لسؤالهم قد تولاهما الله بنفسه مقبلاً عليهم، إذ حذف في اللفظ ما يدل على وساطة النبي ﷺ، تنبيهاً على شدة قرب العبد من ربه في مقام الدعاء. والآية بين آيات الصيام تشير إلى أن الصائم مرجو الإجابة، وإلى

١- روح المعاني للألوسي (٤٦/٢).

أن شهر رمضان مرجوة دعواته، وإلى مشروعية الدعاء عند انتهاء كل يوم من رمضان^(١).

وقوله تعالى: ﴿أُحِبُّ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾: المراد أنه سبحانه يجب بما شاء كيف شاء، فقد يحصل المطلوب قريباً، وقد يحصل بعيداً، وقد يدفع عن الداعي من البلاء ما لا يعلمه، بسبب دعائه^(٢). وقوله ﴿فَلَيْسَتْ جِبُوباً لِي﴾ أي فليستجيبوا لدعائي فقد دعوتهم إلى طاعتي وإلى ما يحييهم. وقوله ﴿وَلْيُؤْمِنُوا بِي﴾ أمر موجه إلى من آمن وغيره، فالمعنى: وليؤمنوا بي مطلق الإيمان، أو حق الإيمان، ثم علل ذلك بقوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ أي ليكونوا على رجاء من الدوام على إصابة المقاصد، والاهتداء إلى طريق الحق^(٣).

- ٢ -

-السؤال (٢): يقول المولى عز وجل: ﴿يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَتَقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ فكيف يقوم الإنسان بهذا الواجب الكبير؟ وما النسبة بين هذه الآية الكريمة وبين قوله تعالى: ﴿فَأَتَقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾؟

-الجواب:

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَتَقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُونَنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٢) وقد روى غير واحد عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال، وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تفسيرها، بأن حق تقواه تعالى أن يطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر^(٤). وقد فهم الصحابة رضي الله عنهم من هذه الآية الكريمة أن هذا تكليف كبير جداً - ما عليهم

١- التحرير والتنوير لابن عاشور (٢/٨٧١-٩٧١).

٢- فتح القدير للشوكاني (١/٢٧٢).

٣- نظم الدرر للبقاعي (١/٧٤٣-٩٤٣).

٤- الآلوسي (٤/٧١).

إلا السمع والطاعة- فاشتد عليهم العمل، فقاموا مصليين حتى تورمت عراقيهم، وتقرحت جباههم، فخفف الله عنهم، وأنزل قوله: ﴿فَأَنقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ (التغابن: ١٦) فكان هذا الحكم الميسر الذي لا يتجاوز حد الاستطاعة وبدون تلك المشقة العظمى ناسخاً لذلك الحكم الشديد^(١).

كما نسخ الله تعالى وجوب ثبات الواحد في الجهاد لعشرة بوجوبه لاثني فقط مع جواز ثبوت الواحد لعشرة إذا كان سيؤثر في نكاية العدو تأثيراً معتبراً. وعلى هذا تكون النسبة بين الآيتين نسبة الناسخ والمنسوخ، والذي أميل إليه أن الآية الثانية نسبتها إلى الأولى نسبة البيان للمبين، فهي تفسير لها، لا ناسخة^(٢). ولا مناص من تقوى الله حق تقاته، ويتحقق ذلك بأن يبذل الإنسان ما في وسعه في طاعة ربه، والطاعة لا تقتصر على العبادات، بل منها المعاملات بصدق وفي الحلال، وبنية رعاية المصلحة للفرد والمجتمع. وهذا واجب كبير، لكنه مستطاع، فإن الله تعالى يعين المخلصين في عملهم، ويبسره عليهم.

وقد ورد تفسير الآية عن ابن عباس رضي الله عنهما - في إحدى روايتين عنه - أنه قال: حق تقاته أن يجاهدوا في الله حق جهاده، ولا تأخذهم في الله تعالى لومة لائم، ويقوموا لله سبحانه بالقسط، ولو على أنفسهم وآبائهم وأمهاتهم^(٣). وعليه فحق التقوى هو واجبها الثابت على المكلفين، من حُقِّ بمعنى وجب وثبت^(٤). والتقوى قدر المستطاع ليست شيئاً هيناً، ولا نكاد نظن أن أحداً يبذل ما في وسعه كله، فمن اتقى النار بشق تمره مثلاً فبوسعه وباستطاعته أن يجعلها تمره، ومن بذل في سبيل الله ألف جنيه لا نظن استطاعته تضيق عن بذل مائة أخرى أو حتى عشرة.

١- المرجع نفسه.

٢- راجع دليل الفالحين (١/٨٤٢).

٣- الآلوسي (٤/٧١).

٤- الآلوسي (٤/٧١-٨١)، وفي المراجع زيادات مفيدة.

- السؤال (٣) :

يقول الله تعالى عن الرجل المؤمن الذي جاء من أقصى المدينة يسعى أنه قال: ﴿وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ فلماذا قال ذلك الرجل: «فطرتني» ولم يقل «فطرنا»؟ ولماذا ينسب الرجوع إلى الله تعالى إلى قومه وهو راجع أيضاً إلى الله تعالى؟

- الجواب :

فيقول الله تعالى على لسان الرجل المؤمن الذي يخاطب قومه المشركين: ﴿وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (يس: ٢٢) نسب الرجل المؤمن إلى نفسه فقط في قوله «فطرتني» أي خلقتني، مع أن الله فطر الخلق جميعاً، وذلك لأن الخلق والإيجاد نعمة عليه من الله تعالى، يعترف بها ويشكرها، فإضافته النعمة إلى نفسه أظهر في الشكر. أما خلقهم فهو نعمة عليهم هم لا عليه، وهم لم يشكروها، ونسب الرجل المؤمن إليهم البعث والرجوع إلى الله تعالى حين خاطبهم بقوله ﴿وَالَّذِي تُرْجَعُونَ﴾ لأن بعثهم بعد الموت وعيد لهم وتهديد، مقصود في هذا المقام، فإضافته إليهم أبلغ في زجرهم عن كفرهم باليوم الآخر، ولم يدخل نفسه معهم مع أنه هو وكل الخلق يرجعون إلى الله تعالى لأنه معترف بهذا، فلا يدخل في الوعيد والتهديد والزجر، إذ ذلك صادر منه إليهم، وفي جملة كل ما ذكر تطف بهم في الإرشاد، حيث أورده في معرض المناصحة لنفسه، ليكون الكلام أسرع قبولاً، فإنه أراهم أنه اختار لهم ما يختار لنفسه بقوله: ﴿وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي﴾ أي مانع من جانبي - أي لا مانع من جانبي - يمتنع من عبادة الذي خلقتني.. ثم رجع إلى خطابهم بقوله: ﴿وَالَّذِي تُرْجَعُونَ﴾ لبيان أنه ما أراد نفسه بل أرادهم بكلامه. وفي ذلك تقرير لهم على ترك عبادة خالقهم^(١). والله أعلم.

١- راجع جامع البيان للدكتور زكي (٢/٢٢٢-٢٢٢).

-السؤال (٤): ذكر الله تعالى نجاة الخليل ﷺ من النار، وقال: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ ولما ذكر أنه خلق السموات والأرض بالحق قال: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾. أرجو إلقاء الضوء على ما بين الآيتين من فروق.

-الجواب:

في نجاة سيدنا إبراهيم ﷺ من النار قال الله تعالى: ﴿فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنْ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (العنكبوت: ٢٤) ﴿لَآيَاتٍ﴾ بالجمع. و﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ بالفعل المضارع.

وعندما ذكر الله تعالى خلق السموات والأرض بالحق قال: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾، الآية بالأفراد، و﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ بالاسم المجموع. وليبيان وجه ذلك نقول: نجاة الخليل ﷺ من النار آية واحدة، لكنها آيات عديدة، اعتباراً، لتعدد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام الذين جاءوا بعده، ونمى إلى علمهم خبر هذه المعجزة، فكانها تتكرر وتصير آيات، بتعاقب الرسل واحداً بعد واحد. وكذلك بتعاقب الأجيال والجماعات التي تؤمن بها، وتأتي جماعة بعد جماعة، كما يدل عليه الفعل المضارع «يؤمنون».

وإذا نظرنا إلى معجزة النجاة من النار وما انضم إليها وجدنا معجزات وآيات متعددة حقيقة، لا اعتباراً كالذي سبق، فنجاته ﷺ من الاحتراق آية، واحتراق الحبل الذي أوثقوه به مع سلامة ملابسه من الاحتراق آية، وخمود النار العظيمة في زمن يسير آية، وإنشاء روضة نضير في مكانها فوراً آية، فهي حقيقة آيات متعددة، ولذلك قال سبحانه: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾. ثم نقول: وقال تعالى: ﴿خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ (العنكبوت: ٤٤) بإفراد آية: لأن الفعل: الخلق والإيجاد: فعل واحد، أو جنس واحد، والفاعل الخالق جل جلاله

واحد، والإيمان والتوحيد المطلوب بدلالة المخلوقات على الله تعالى إيمان واحد، والمؤمنون: جماعة الموحدين: جماعة واحدة، ولذلك قال الله هنا ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾. ومعنى كون الله تعالى خلق السموات والأرض بالحق أنه سبحانه خلقها محققاً، مراعيًا للحكم والمصالح. وأيضًا: السموات والأرض مخلوقة ملتبسة بالحق والنظام الثابت الذي لا محيد عنه، مستتبعة للمنافع الدينية والدنيوية، فإنها شواهد دالة على شؤونه تعالى، المتعلقة بذاته وصفاته، ومشملة على جميع ما يتعلق به معاش العباد. وتخصيص المؤمنين بالذكر مع عموم الهداية والإرشاد في خلقهما للكل لأن المؤمنين هم المنتفعون بذلك^(١).

- ٥ -

-السؤال (٥): يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ (الزخرف: ٢٦)، ويقول عز وجل: ﴿فَلَمَّا أَفْلَتْ قَالَ يَنْقُومٌ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ (الأنعام: ٧٨).

فما السر في اختيار لفظ (براء) في موضع، ولفظ (برئ) في موضع آخر؟

-الجواب:-

في الموضع الأول يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ (٣٦) إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيِّدِي ﴿٣٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿ (الزخرف: ٢٦-٢٨).

فنجد في هذا الموضع قوة في المعنى والمواجهة تتبعها قوة في اللفظ والأسلوب، فالخليل ﷺ يواجه أباه وقومه، لا قومه فقط كما في الموضع

١- راجع روح المعاني (٢٠٢/٠٥١، ٣٦١)، وفتح الرحمن بكشف ما يلبس في القرآن (ص١٢٣)، ودرة التنزيل (ص٢٥٢-٤٥٢)، وقد زدت قليلا، وتصرفت كثيرا.

الثاني وإن كان أبوه فيهم، فهو في الموقف الأول يواجه ويلاحظ أباه صراحة مع قومه، كما يدل عليه اللفظ الصريح ﴿لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ﴾، فهي مواجهة قوية كبيرة، بخلاف الحال في الموضوع الثاني. فاختير في الموضوع الأول لفظ قوي يناسب المواجهة الكبرى، وهو لفظ ﴿بِرَاءً﴾، فإنه في اللغة أقوى من لفظ «بريء»؛ لأنه مصدر في الأصل، والتعبير بالمصدر بدلا من اسم الفاعل أو صيغة المبالغة يكون لإفادة القوة، وفخامة الرأء والألف الطويلة في «براء» تزيد في القوة بظلمها ومذاقها وحسها اللغوي. وهذا الموضوع يزيد نونا في «إنني» ليست في «إني» في الموضوع الثاني وزيادة المبنى تدل على زيادة المعنى، وكثرة الباءات والكسرات في الموضوع الأول قبل لفظ «براء» يناسبها التخفف بالانتقال منها إلى غيرها أي إلى لفظ «براء» لا إلى لفظ «بريء» الذي يزيدها ياء وكسراً. فكان اللفظ المناسب هنا هو لفظ «براء»، وهو لفظ ينسجم - بشكل معجز - مع المعنى الذي قال الله فيه: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ﴾ فالكلمة الباقية في عقب إبراهيم عليه السلام هي التبرؤ من عبادة غير الله تعالى، وإعلان التوحيد وإخلاص العبادة للخالق الهادي، نهض بها خير عقب للخليل عليه السلام، سيدنا محمد عليه السلام. ورحلة التوحيد هذه أوتر معها رحلة هذا اللفظ كلمة باقية أيضاً في عقبه، فإن لفظ «براء» لغة الحجازيين وصل إلى حجازي هو خير العقب عليه السلام، أما لفظ «بريء» فهو لغة تميم وسائر العرب.

وفي الموضوع الثاني يقول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَى السَّمَاسَ بَارِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يُقَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (الأنعام: ٧٨-٧٩)، فنجد المواجهة، والموقف والموضع بلفظه ومعناه ليس كالأول.

فهنا في الموضوع الثاني مواجهة أخف، حيث لم يلاحظ الأب بخصوصه،

فلم يصرح بلفظ يدل عليه خصوصاً. فجيء بالكلام بالتخفيف لفظاً تبعاً للمعنى، فحذفت نون من «إنني» هناك، وصارت «إني» هنا، وأوثر لفظ «بريء»؛ لأنه أخف من «براء»، ولم يثقل الأسلوب بإضافة الياء والكسرة في «بريء» إلى ما سبق هنا من كسرات وياءات، فإن عدد الجميع لم يقرب من العدد في الموضع الأول^(١).

-٦-

-السؤال (٦): ختمت الآية الكريمة السادسة والأربعون من سورة الأنعام بقول الحق تبارك وتعالى: ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ نَصَرَفُ الْأَيَاتِ ثُرَّهُمْ يَصِدْفُونَ﴾ وختم الخامسة والستون بقوله تعالى: ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ نَصَرَفُ الْأَيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ فما الحكمة من ذلك؟

-الجواب:

إننا نجد قوله تعالى: ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ نَصَرَفُ الْأَيَاتِ﴾ مكرراً في الآيتين ترغيباً للنبي ﷺ في تكرير الدعوة للمذكورين رغبة في إيمانهم، كأنه تعالى يقول: ﴿هُم يَصِدْفُونَ﴾ أي يعرضون عنك فلا تعرض أنت عنهم وكرر عليهم دعوة الحق، وهنا وصفوا بالإعراض وفي الآية الثانية ﴿لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ أي لعلهم يفهمون، وصفوا بعدم الفهم، والإعراض أقبح من عدم الفهم، وقد وصفوا به أولاً تبعاً لما وصفوا به قبل هذه الجملة من قسوة قلوبهم ونسيانهم ما ذكروا به، وغيرهما، وهذه الأوصاف مفقودة في الآية الثانية فلا جرم أن ما قبح جداً من أوصافهم جاء مع ما شاكله. قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا نَضَّرَعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٤٣) فَلَمَّا دُسُّوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا

١ - المرجع كتابي «بحوث في علوم القرآن الكريم» وهنا زيادة.

فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴿ (الأنعام: ٤٣-٤٤) ﴿ مُبْلِسُونَ ﴾ : أي آيسون من الرحمة. ثم كررت جملة ﴿ أَنْظُرْ كَيْفَ نُصْرِفُ الْأَيَاتِ ﴾ وختمت بـ ﴿ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴾ فكأن المعنى: كررها لهم لعلهم يفقهون أي يفهمون، فإن التكرار قد ينبه العقل ويثمر الفهم، وكذا تصريف الآيات وهو تكريرها بأساليب وعلى أنحاء مختلفة، من ترغيب وترهيب وحجة غالبية وجدال مفحم بالتالي هي أحسن.

-٧-

-السؤال (٧): قال الله تعالى في سورة النحل: ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً ۗ نُسِّقِكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِمْ ﴾ (النحل: ٦٦) وفي سورة المؤمنين: ﴿ مِمَّا فِي بُطُونِهَا ﴾ وقال أيضاً في سورة المدثر: ﴿ كَلَّا إِنَّهُ تَذَكَّرٌ ۗ ﴾ (المدثر: ٥٤) وفي سورة عبس: ﴿ كَلَّا إِنَّهَا تَذَكُّرٌ ۗ ﴾ (عبس: ١١) فما وجه التذكير تارة والتأنيث تارة في ذلك؟

-الجواب:

جاء في سورة النحل: ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً ۗ نُسِّقِكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِمْ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّرِيبِينَ ﴾ (النحل: ٦٦) ﴿ فِي بُطُونِهِمْ ﴾ بضمير المفرد المذكر لأنه عائد على البعض، والتقدير «إن لكم في بعض الأنعام» والبعض لفظ مفرد مذكر فعاد الضمير عليه مفرداً مذكراً.

والبعض المراد هو الإناث، بدليل التخصيص باللبن، واللبن لا يكون من الكل. وجاء في سورة المؤمنين: ﴿ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةٌ ۗ نُسِّقِكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنفَعٌ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿ (٢١) ﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفَالِكِ تُحْمَلُونَ ﴾ (المؤمنون: ٢١-٢٢) ﴿ فِي بُطُونِهَا ﴾ بضمير الجمع المؤنث لأنها عامة للكل لا تختص بالإناث، بدليل قوله تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا مَنفَعٌ كَثِيرَةٌ ﴾

وقوله: ﴿وَمِنَهَا تَأْكُلُونَ﴾ وقوله: ﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفَلَكِ مَخْمُلُونَ﴾ فهذه أمور عامة للكل، فالذكور والإناث يحمل عليها ويؤكل منها، ويستمتع بها بما يؤخذ من أصوافها وأشعارها وأوبارها، فجاء الضمير جمعاً مؤنثاً لذلك^(١).
وقال تعالى في سورة المدثر: ﴿كَلَّا إِنَّهُ تَذَكَّرٌ﴾ بضمير المفرد المذكر لأن المراد القرآن، والمقام مقام الكلام عن الإيمان والكفر.

وقال في سورة عبس ﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذَكَّرٌ﴾ بضمير المؤنث، ويحتمل أن يكون مفرداً، والمراد القصة، قصة الأعمال فإنها تذكرة وموعظة أو المراد السورة. ويحتمل أن يكون الضمير جمعاً، والمراد آيات القصة أو آيات السورة^(٢). وقيل إن المعنى في السورتين واحد، والتذكير تارة والتأنيث تارة تفنن في التعبير. والمراد: ﴿إِنَّهُ﴾ أي القرآن كله ﴿تَذَكَّرٌ﴾، و﴿إِنَّهَا﴾ أي آيات القرآن ﴿تَذَكَّرٌ﴾، لكن يبقى السر غامضاً في تخصيص كل موضع بما اختص به.

- ٨ -

-السؤال (٨): قال الله تعالى في سورة النساء: ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ﴾
شُهَدَاءَ لِلَّهِ وفي سورة المائدة: ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ﴾ فما سر هذا التغاير؟

-الجواب:

تقدم في سورة النساء ذكر نشوز الرجل وإعراضه عن المرأة والصلح على مال، وإصلاح حال الزوجين، والإحسان إلى الزوجة، كما تقدم قوله

١- راجعت كشف المعاني (ص٩٢٢)، ودرة التنزيل (٦٩١)، والبرهان للكرماني (ص٤١١)، وفتح الرحمن (ص٢٢٢)، وبصائر ذوي التمييز (٥٨٢/١)، وروح المعاني للآلوسي (٤٢/٨١).

٢- راجعت بصائر ذوي التمييز (٩٨٤/١)، وفتح الرحمن (ص٩٤٤) وما كتبه عبد القادر أحمد عطا على هامش البرهان للكرماني (ص١٠٩)، وما كتبه الدكتور عبد الجواد خلف على هامش كشف المعاني (ص٨٦٣) نقلاً عن الفراء في معاني القرآن.

تعالى: ﴿وَأَنْتَ تَقُومُوا لِلَّيْتَمَىٰ بِالْقِسْطِ﴾ (النساء: ١٢٧) فناسب ذلك مجيء الآية بتقديم القسط وهو العدل، أي كونوا قوامين بالعدل بين الأزواج وغيرهن، واشهدوا لله لا مراعاة نفس أو قرابة، وتعلق لفظ ﴿لِلَّهِ﴾ بالشهادة فهو متصل بها بدليل قوله في نفس الآية: ﴿وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ أي ولو تشهدون عليهم. وآية سورة المائدة جاءت بعد أحكام تتعلق بالدين والوفاء بالعهود والمواثيق، قال تعالى في أول السورة: ﴿أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾، وقال: ﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ﴾ (المائدة: ٧)، وتضمنت الآيات أوامر ونواهي، فناسب ذلك تقديم ﴿لِلَّهِ﴾ أي كونوا قوامين بما أمرتم أو نهيتم لله، وإذا شهدتم فاشهدوا بالعدل لا بالهوى.

وفحوى هذه الآية دليل على أنها للولادة، وكذا قوله فيها: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾، ولفظ ﴿لِلَّهِ﴾ منفصل فيها عن الشهادة متعلق بقوامين، فالمعنى: كونوا أيها الولاة قوامين في أحكامكم لله لا للنفع، ﴿شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ﴾ فإنكم وسائط بين الخالق والخلق، أو بين النبي ﷺ وأمة، قال تعالى: ﴿وَكَذٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (البقرة: ١٤٣)، فالقائم بتنفيذ أحكام الله بين خلقه إذا وفى بما عليه من حقه فهو شهيد على من وليه، والرسول ﷺ شهيد عليه بما نقله إليه، وقوله تعالى: ﴿أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ (المائدة: ٨) أمر للولادة بأن يعدلوا عدلاً عاماً يشمل من خالفهم في الدين ومن وافقهم حتى ولو وقعت بينهم وبينه ضغينة لأمر ما، فيجب أن يعدلوا مع الجميع عدلاً واحداً^(١). والله أعلم.

١- كشف المعاني (ص ٢٤١)، البرهان للكرماني (ص ٤٥)، فتح الرحمن للأنصاري (ص ٢٩)، درة التنزيل (ص ٢٦-٢٦).

-السؤال (٩): الآية السابعة عشرة من سورة الأنعام، والسابعة بعد المائة من سورة يونس بينهما فروق، ففي الأولى: ﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ بَحِيرٌ﴾، وفي الثانية ﴿وَإِنْ يُرِدْكَ بَحِيرٌ﴾، إلى غير ذلك، فما الحكمة من هذه الفروق؟

-الجواب:

من بلاغة القرآن الكريم وإعجازه تلك المعاني الدقيقة التي أدركها العلماء من وراء تلك الفروق اللفظية مع تأمل السياق واستحضار مضامين السورة، وملابسات آياتها. ولنذكر نص الآيتين الكريمتين ثم نذكر بعض ما قال العلماء.

قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ يَضُرُّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمَسُّكَ بَحِيرٌ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (الأنعام: ١٧) في سورة الأنعام، وقال تعالى: ﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ يَضُرُّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بَحِيرٌ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (يونس: ١٠٧). أشارت الآية الأولى إلى شمول قدرته تعالى على كل الممكنات، وأنه سبحانه المتفرد بالخلق والاختراع، والمتصرف في عباده بما شاء وحده. وهذا المضمون وارد في آيات سابقة في السورة قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ (الأنعام: ١) والآيات، وقال فيمن أهلكه من القرون بكفره: ﴿مَكَانَهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ يُمْكِنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ﴾ (الأنعام: ٦)، إلى غير ذلك مما اقتضى أن تجيء الآية بقوله: ﴿فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

أما الآية الثانية، فقد ذكر قبلها حال الذين توهموا أن غير الله يضر

وينفع، وقالوا عن آلهتهم: ﴿هَؤُلَاءِ شَفَعُونَا﴾ (يونس: ١٨)، فبين الله في الآية انفراده بالخلق والأمر، والنفع والضر، وأن أمر عباده يجري على ما قدر لهم، لا يردده راد، ولا يعارضه معارض، وهي مضامين فيها زيادة على ما في سورة الأنعام، فجاءت آية سورة يونس بزيادة لتؤكد المضامين التي قبلها بما فيها من زيادة. وبيان ذلك أن في الآيتين قدرًا مشتركًا، وهو ذكر مس الضر، وذكر مس الخير، بفعل المس في آية سورة الأنعام، وبفعل الإصابة في آية سورة يونس، وفي آية سورة يونس قدرٌ زائد، وهو ذكر إرادة الخير، فكان قد قيل فيها: وإن يمسسك بخير ويردك به فلا راد لما أصابك به وأراده بك، هذا جانب. وفي سورة يونس: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٦﴾ وَلَوْ جَاءَهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ (يونس: ٩٦-٩٧)، وفيها: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرَهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (يونس: ٩٩)، وهذا شديد الوقع على قلوب المؤمنين، فأنسهم الله تعالى، فقال في آيتها: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾.

فجاءت كل آية على ما جاءت عليه على أتم مناسبة، وأوضح ملاءمة. والله أعلم بما أراد^(١).

١ - الموضوع كله ملخص بتصريف واقتصار من كتاب ملاك التأويل (١/٥٩-٩٩).

-السؤال (١٠): نجد في سورة المطففين ذكر الكيل فقط فيما إذا كانوا يستوفون حقوقهم، وذكر الكيل والوزن معا فيما إذا كانوا يعطون للغير حقه، فما الحكمة في الاقتصار على الكيل أولاً، ثم في ذكر الوزن معه ثانياً؟
-الجواب:

يقول الله تعالى: ﴿وَبَلِّغْ لِلْمُطَفِّفِينَ ۝١ الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالَهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝﴾ (المطففين: ١-٣) لفظ «المطففين» مأخوذ من التطفيف، وهو البخس في الكيل والوزن، وسمي تطفيفا لأن ما يبخس في المرة الواحدة من كيل أو وزن شيء طفيف أي نزر حقير، لكنه يتكرر ويكثر فيصير فاعله مطففا، مذموما ذما كبيرا^(١). والاقتصار على الاكتيال بالكيل في صورة الاستيفاء، لأن المطففين كانوا إذا أخذوا الشيء الذي يكال ويمكن أن يوزن أيضاً أخذوه بالكيل دون الوزن، لأنهم يتمكنون من استيفاء حقههم والبخس فيه أي الزيادة غير المستحقة -على سبيل السرقة- يتمكنون من ذلك بالاكتيال، وأيضا ذكر الكيل هنا دون الوزن لأن البضاعة الواردة لأولئك التجار كانت في الغالب حبوبا تقدر بالكيل فقط^(٢)، هذا في جانب أخذهم واستيفائهم ما يشترونه، أما الجانب الآخر الذي أضيف فيه الوزن إلى الكيل، فبيانه أنهم كانوا إذا أعطوا ما يبيعونه للمشتري كانوا متمكنين من البخس فيه كيلا كان أو وزنا، فأشير إلى النوعين معا، المكيلات والموزونات. يضاف إلى ذلك أن السورة الكريمة تعبر عما وقع، وكان الواقع عبارة عن البخس في الكيل فقط في حالة أخذهم الحق، والبخس في الكيل والوزن في حالة إعطاء الحق. ولعله لولا اقتصار السورة على التعبير عن الواقع لذكر الوزن مع الكيل في الجانب الأول كما ذكر في الجانب الثاني^(٣).

١- راجع الألويسي (١٠٢٣/٨٦-٩٦).

٢- راجع ابن عاشور في تفسير الآية.

٣- راجع الألويسي السابق (ص٩٦-١٠٧).

وجملة ما ذكر عن المطففين يلاحظ فيها أنهم مذمومون ذما شنيعا على سلوكهم السيئ الظالم، لكن كيف يكون الذم على استيفاءتهم حقهم؟ واستيفاء الحقوق لا ذم عليه. ولعل الجواب عرف من كونهم وإن كانوا يستوفون حقهم إلا أنهم يطففون، أي يبخسون، فيتصرفون في الكيل بهزه وكبسه ونحو ذلك حتى يستوفوا حقهم وزيادة، وحتى لو قلنا إنهم يأخذون حقهم دون زيادة لقلنا لكنهم لا يعطون الحق، فهم يكيلون بمكيالين ويخسرون الميزان، وكان الواجب أن يسووا بين الحالتين أخذا وعطاء بالعدل على أقل تقدير، إن لم يكن بالفضل والسماحة.

- ١١ -

-السؤال (١١): يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ﴾ الآية. ما الحكمة من أمرها بإرضاعه، وهي ترضعه بحكم عاطفة الأمومة؟ وفي الآية معنى مؤداه: إذا خفت عليه فلا تخاف. فكيف هذا؟ وما الفرق بين الخوف والحزن؟

-الجواب:

يقول الله تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ فَأَلَيْهِ فِي أَلَمٍ وَلَا خَافِي وَلَا تَحَافِي ۗ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ (القصص: ٧) أمر الله تعالى أم سيدنا موسى ﷺ أن ترضعه لأنها ربما كانت تسترضع له مرضعة أخرى، فيفوت مقصود مهم، وهو أن يألف لبنها بالرضاع منها، فلا يقبل غيرها. فهذه حكمة في أمرها بإرضاعه. وقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ ﴾ شرط، تعلق به جزاء ان على ما يراه بعض العلماء، وإذا كان كذلك صدق مع كل جزاء منهما على انفراد، فيؤول إلى صدق قوله: فإذا خفت عليه فلا تخاف، فكيف هذا؟ الجواب أن الخوف الأول في الشرط هو الخوف من القتل، والخوف الثاني

في الجزء هو الخوف من الغرق. فالمعنى في هذا بالتفصيل: إذا خفت على موسى أن يقتله فرعون الذي يقتل الأبناء فألقيه في اليم لينجو من القتل ولا تخاف أن يغرق في اليم، فإنه في حفظ الله تعالى. وبهذا يظهر المعنى بدون تناقض.

وأما الفرق بين الخوف والحزن وهما في قوله تعالى في الآية ﴿وَلَا تَحْزَنِي وَلَا تَحْزَنِي﴾ فهو أن الخوف عبارة عن غم يصيب الإنسان لأمر يتوقعه في المستقبل، أما الحزن فهو غم يصيب الإنسان لأمر قد وقع ومضى. وبيان ذلك هنا أن أم موسى كان أمامها مخاوف تعرض رضيعها للجوع والشدة والضيعة والهلاك بالغرق أو غيره، وكان وراءها بعد إلقائه في البحر أحزان مفارقتها إياه وذهاب طمأنينتها عليه، وأنسها به، وقد بدل الله تعالى خوفها أمنا بالبشارة بقرب رده إليها، كما يدل عليه السياق، وعوضها عن حزنها على ما فات بجعله من المرسلين، وهذا يعني أنه سيعيش إلى سن النبوة والرسالة، وإلى ما شاء الله. ولولا أنه الله تعالى لكان من أعجب العجب أن يقال لوالدة: إذا خفت على رضيعك فألقيه في البحر وإن أعقبه قول ﴿وَلَا تَحْزَنِي وَلَا تَحْزَنِي﴾ لكن الله تعالى قالها، وثبتها وبشرها، ولا يقدر على ذلك إلا هو جل جلاله، وقد استقصح الأصمعي امرأة أنشدت شعرا فقالت له: أبعد هذه الآية فصاحة وقد جمعت بين أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين؟!^(١)

١- راجع الموضوع - وقد زدت - على روح المعاني (٥٤/٠٢)، جامع البيان للدكتور زكي أبي سريح (٩٥١/٢).

- ١٢ -

-السؤال (١٢) قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾ غير يسير بمعنى عسير فما المعنى المستفاد من هذا التكرار وكذلك قوله تعالى ﴿لَا بُقَىٰ وَلَا نَذْرٌ﴾؟

-الجواب:

قوله تعالى: ﴿فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾ (المدثر: ٩-١٠) لوقلنا إن المعنى واحد في الجملتين فالثانية تأكيد للأولى، والتوكيد من الأغراض المرعية في الكلام العربي الفصيح. والأولى أنه لا تكرر وأن قوله تعالى ﴿غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ يعني أنه لا يرجى أن يرجع يسيرا كما يرجى تيسير العسير من أمور الدنيا، ويجوز أن يكون وصفه بأنه غير يسير على الكافرين يعني أنه يسير على المؤمنين فيكون تبشيرا للمؤمنين وتخويفا للكافرين.

وأما قوله تعالى ﴿لَا بُقَىٰ وَلَا نَذْرٌ﴾ (المدثر: ٢٨) فإن جهنم لا تبقى الكفار أحياء حياة راحة، ولا تذرهم أي ولا تتركهم أمواتا مستريحين. كما أنها لا تبقى لهم لحما ولا تذر لهم عظما. أعادنا الله تعالى منها آمين.

- ١٣ -

-السؤال (١٣): ما السر في ختم أكثر آيات القرآن بالميم والنون؟ وما الحدود الجائزة في تنغيم الصوت أثناء التلاوة؟

-الجواب:

كثر في القرآن الكريم ختم الآيات بحروف المد واللين والحق النون أو الميم، كما في سورة الفاتحة، ففي فواصلها الميم في البسمة، و﴿الرَّحِيمِ﴾ و﴿الْمُسْتَقِيمِ﴾، والنون في ﴿الْعَلَمِينَ﴾ و﴿الذِينَ﴾

﴿سَتَعِينُ﴾ و﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾، والنون والميم متقاربان، فوجودهما في الفاتحة أو غيرها منسجم من الناحية الصوتية، وفي بيان الحكمة من كثرة ذلك قال السيوطي: وحكمته وجود التمكن من التطريب بذلك، كما قال سيبويه: إنهم إذا ترنموا يلحقون الألف والياء والنون لأنهم أرادوا مد الصوت، ويتركون ذلك إذا لم يترنموا، وجاء في القرآن على أسهل موقف وأعذب مقطع^(١) انتهى كلامه.

والتطريب الذي ذكره نقول فيه وفيما يشاكله من التنغيم الوارد في السؤال، وترجيع الصوت، وتخزينه ما يأتي: سورة ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ من السور التي تصور يوم القيامة كأنه رأي العين، فالنغمة الحزينة في تلاوتها من أنسب ما يكون، ولهذا قرأها أبو هريرة رضي الله عنه فكان يحزنها شبه الرثاء، وأورده الحافظ الذهبي في معرفة القراء الكبار^(٢)، أما ترجيع الصوت -وهو تحسين وترنم- فغالبا ما ينشأ عن انبساط ونشاط، وكان النبي يترنم في قراءته بعيداً عن أي مؤثر خارجي، فعن أم هاني رضي الله عنها قالت: كنت أسمع صوت النبي وهو يقرأ، وأنا نائمة على فراشي، يرجع بالقراءة ويقرأ في صلاته ليلاً عند الكعبة، كما جاء في رواية فهو قبل الهجرة، ذكره شيخ الإسلام الباجوري في المواهب الآتية على الشمائل^(٣).

وقرأ بالترجيع يوم فتح مكة وهو على ناقته، ونقول خلافاً لما نسب ذلك إلى هز الناقة له إن أحد الصحابة روى هذا وفعله اختياراً، فدل على الجواز بدون توقف على هز ناقة أو غير ذلك من المؤثرات الخارجية، وما ورد من أنه لم يكن يرجع في القراءة محمول إما على أنه في بعض أو في معظم الأوقات، وإما على أن المنفي هو ما كان كترجيع الغناء حيث ينافي الخشوع الذي يطلب في التلاوة، والترجيع المطلوب هو ما كان تحسيناً للتلاوة والفيصل

١- الإتيان (٥٦٩/٢).

٢- معرفة القراء الكبار (١/١٦-١٦٠).

٣- المواهب الآتية (ص ٧٥١).

بين الجائز والممنوع من التنعيم هو إحكام التجويد، فحيث لا يخل التنعيم بها فهو جائز، وحيث يكون التنعيم مخللاً بها فهو من لحون أهل الفسق والكبائر، هذا ومن الواجب الفني أن لا يضع نعمة البهجة والانبساط في تلاوة آيات التخويف، وأن لا يضع نعمة الحزن والانقباض في تلاوة آيات التبشير^(١).

- ١٤ -

-السؤال (١٤): يقول الحق تبارك وتعالى لنبيه ﷺ: ﴿فَأَنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ وفي آية أخرى من السورة نفسها: ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَسَعَةٍ﴾ الآية، نرجو إلقاء الضوء على معاني الآيتين الكريمتين، وكيف جاء في الأولى: ﴿لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ وفي الثانية: ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ﴾؟

-الجواب:

يقول الله تعالى: ﴿فَدَعَلِمُ إِنَّهُ لَيَحْزَنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَيَّاتٍ اللَّهُ يَجْحَدُونَ﴾ (الأنعام: ٢٣): يحزن النبي ﷺ قولهم إن القرآن أساطير الأولين^(٢)، وإنكارهم للبعث والجزاء، واتخاذهم الدنيا لعباً ولهواً. وهذا منهم ليس تكذيباً للنبي ﷺ ﴿وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَيَّاتٍ اللَّهُ يَجْحَدُونَ﴾، ولهذا قال تعالى: ﴿فَأَنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾. حتى لو قالوا له علناً إنه كاذب، فإنه في سرهم الصادق الأمين ﷺ. وهذه هي الحقيقة التي في قلوبهم يذكرها القرآن الكريم ويشير في بعض الآيات الأخرى إلى ظاهريهم المعاند المكذب الجحود، مما جعلهم كفاراً بآيات الله ورسوله الذين جاءوا بها. وكأن الآية الكريمة تقول للنبي ﷺ: «هون عليك فإنهم لا يكذبونك

١- انظر المدخل إلى فن الأداء للدكتور عبد الغفور محمود مصطفى ط ٢، (ص ٧٥، ٩٥)، وانظر نفس المؤلف كتاب الأصيل والدخيل، فقيه بيان مهم في هذا الصدد.

٢- الجمل على الجلالين (٢٢/٢).

أنت، وإنما يكذبون بآياتنا، فإذا كان هذا يحزنك فاصبر^(١)، فما واهم جهنم وبئس المهاد.

أما قوله تعالى في نفس السورة الكريمة -سورة الأنعام- ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَسِعَتْ وَلَا يُرَدُّ بِأَسْئُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ (الأنعام: ١٤٧) فهذا حديث عن تكذيبهم المعلن، بعد الحديث عن تصديق الصادق الأمين غير المعلن. فلا تعارض بين تصديق في السر، وتكذيب في العلن. وإن شئت فقل: لا تعارض بين تصديق في جانب، وتكذيب في جانب آخر، وإن كان هذا يلغي ذلك، ويجعله تصديقاً غير نافع لهم، ومعنى هذه الآية الكريمة: ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ﴾ فيما جئت به، ومنه تحليل الطيبات وتحريم الميتة، والدم المسفوح، ولحم الخنزير، وما أهل لغير الله به ﴿فَقُلْ﴾ لهم (لليهود والمشركين): ﴿رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَسِعَتْ﴾ حيث لم يعاجلكم بالعقوبة، ثم لا تغتروا بذلك فإنه إهمال لا إهمال، وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَسِعَتْ﴾ فيه تلميح بدعائهم إلى الإيمان. فلا يرد كيف قال في الجواب ذلك مع أن المحل محل عقوبة فكان الأنسب أن يقال: قتل ربكم ذو عقوبة شديدة. وما قاله تعالى فيه تعليم للدعاة إلى الله أن يتلطفوا ومع هذا التلطف قال بعد ذلك: ﴿وَلَا يُرَدُّ بِأَسْئُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ لئلا يغتروا رجاء رحمته عن خوف نقمته: فيجتروا على معصيته. وذلك أبلغ في التهديد^(٢).

١- روح المعاني (٤٣١/٧ - ٥٣١).

٢- الجمل على الجلالين، السابق يتصرف (ج/٥٠١).

-السؤال (١٥): وقعت سورة ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ بين سورتي النصر والإخلاص، فما الحكمة من هذا؟
-الجواب:

علم المناسبات بين السور علم عظيم، يكشف عن أسرار دقيقة، ومعان عجيبة، حتى اعتبر الاتصال بين السور، وقوة الترابط، ومثانة العلاقة وجهاً من وجوه إعجاز القرآن، حيث لا يستطيع بشر أن يوقع مناسبة بين كلام متفرق، قاله في سنوات طويلة، وفي ظروف وموضوعات مختلفة تماماً، وقام بضم بعضه إلى بعض، فجاء به كلاماً واحداً، ونسيجاً محكماً كأنه لم يكن متفرقات شتى، هذا خارج عن طوق البشر.

وقد تأمل العلماء ما بين السور من علاقات وهي بهذا الترتيب في المصحف الشريف، هذا الترتيب المختلف تماماً عن ترتيب النزول -ولكل ترتيب منهما حكمة إلهية-. ومما قالوه في السور الثلاث موضوع السؤال أن الله تعالى لما ذكر في سورة النصر دخول الناس في ملة الإسلام عقبه سبحانه بذكر هلاك بعض ممن لم يدخل فيها وخسرانه، فوصل الوعيد بالوعد، وفي الوعيد مسرة للنبي ﷺ حيث إنه وعيد موجه إلى أعدائه، وفي الوعد مسرة له حيث إنه له ولأمته. وقدم الوعد على الوعيد ليكون النصر متصلاً بقوله تعالى: ﴿وَلِي دِينِ﴾ (الكافرون: ٦).

فتأمل هذه المجانسة الحاصلة بين هذه السور، مع أن سورة النصر من آخر ما نزل بالمدينة، وتبت من أوائل ما نزل بمكة، لتعلم أن ترتيبها من الله تعالى، وبأمره عز وجل^(١). وعقب الله سورة تبت بسورة الإخلاص التي نزه فيها نفسه عن مشابهة خلقه، فلا ولد له ولا والد، ولا مماثلة أحد -سبحانه وتعالى- فرد بذلك على أبي لهب الذي كان له ما نزه الله نفسه عنه من

١- روح المعاني (٩٥٢/٠٢-٠٦٢).

الصاحبة والولد، واعتز أبو لهب -كعادة العرب- بماله، وما كسب من أولاد، فنزل به الهلاك والخسار، ولم ينفعه شيء من ذلك^(١).

والمناسبة تظهر في هذا الترتيب من وجه آخر، وذلك أنه لما ذكر النصر العظيم، والفتح المبين والهزيمة النكراء للعدو اللدود أبي لهب، والتنكيل الشنيع بزوجته، وتبينت كثرة المهزومين، وكثرة جنود الحق، وكل ذلك لرجل واحد وقف ضد أمة الكفر، تشوفت الأفكار لمعرفة من صنع له كل ذلك، فجاءت سورة الإخلاص كاشفة عن صفات الصانع الحكيم، مُعرِّفة باللَّه الأحد الصمد^(٢) جل جلاله.

- ١٦ -

-السؤال (١٦): من الآية الثالثة والأربعين من سورة النجم حتى الآية الخمسين نجد بعضها مبدوءاً بقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ﴾ وبعضها بدون لفظ ﴿هُوَ﴾. فما السبب في ذلك؟

﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾ (النجم: ٤٣)، ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾ (النجم: ٤٤)، ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ (النجم: ٤٥)، ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَعْيَى وَأَقْبَى﴾ (النجم: ٤٨)، ﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعْرَى﴾ (النجم: ٤٩)، ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى﴾ (النجم: ٥٠)، بدون ذكر (هو) في مناسبتين.

-الجواب:

في الآيات المشار إليها في السؤال أربع آيات بلفظ ﴿وَأَنَّهُ هُوَ﴾، وآيتان بدون لفظ ﴿هُوَ﴾ وذكر هذا اللفظ تأكيد لنسبة ما بعده إلى الله تعالى لمضادة الكفار الذين لم ينسبوا تلك الأمور إليه سبحانه. أما الآيتان الخاليتان من لفظ ﴿هُوَ﴾ فلأن ما فيهما منسوب إلى الله تعالى باتفاق،

١- جواهر البيان للفماري (ص ٨٥١-٩٥١).

٢- نظم الدرر (٦٧٥/٨).

فلم ينكر أولئك الكفار نسبته إلى الله تعالى، فلم يكن محتاجاً إلى التوكيد بذكر لفظ ﴿هُوَ﴾، فلم يذكر فيهما، ولنشرح المواضع المؤكدة وإن لم تكن متوالية، ثم نشرح الموضوعين المستغنيين عن التوكيد على النحو التالي:

قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾ أكد سبحانه وتعالى نسبة الإضحاك وضده إلى نفسه، لأنه ربما توهم متوهم أنهما بفعل الإنسان واختياره لنفسه، أو اختيار غيره له وتأثيره فيه بإطلاق، أو كلما شاء. ومن تأمل عرف أنه كم من مرید للضحك وهو لا يجده، ولا يستطيعه، وكم من مرید للبكاء ولا يبكي. وقد قرأنا في مكتشفات العلم أن الطفل يبكي فيكون بكاءه - كما فحصوا واكتشفوا - دالاً على سبب البكاء من جوع أو عطش أو ألم في موضع معين من جسمه. فهل يبكي بكاء دالاً، أو يضحك كذلك إلا الله جل شأنه؟، وقال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾ فأكد أنه المحيي المميت، مراغمة لمن يزعم أن غيره يحيي ويميت، كما قالها النمروذ جاهلاً أو متجاهلاً.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَعْيَى وَأَقْبَى﴾ أي: أعطى ما يغني، وزاد في العطاء فمنح ما يقتنى، وأكد ذلك بذكر لفظ ﴿هُوَ﴾ كما عرفنا، رداً على من يزعم أن بقدرته أن يفعل ذلك، كما ظن قارون حتى قال: ﴿أُوتِيْتَهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾ فجرى له ما جرى. وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ السَّعْرَى﴾ مؤكداً أن كوكب الشعري مربوب لله تعالى، وهذا أبلغ رد، وأوكده على من زعم الشعري رباً لا مربوباً وعيها. أما قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ﴾، وقوله: ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى﴾ فلم يؤكد، لأنه لا يحتاج إلى توكيد، فلم يزعم أحد أن باستطاعة مخلوق أن يخلق شيئاً، كما لم يزعم أحد أن بشراً أهلك عاداً قوم هود عليه السلام (1). هذا والله أعلم.

١- راجع النيسابوري مع مصحف التهجد (٤/٤٩٠٣-٥٩٠٣)، والروضة الريان (٢/١٥٤-٢٥٤).

-السؤال (١٧): نرجو إلقاء الضوء على معنى الآيتين الكريمتين
الواحدة والستين من سورة النحل، والخامسة والأربعين من سورة فاطر،
وبيان الحكمة من الفروق اللفظية التي بينهما.
-الجواب:

في الآية الواحدة والستين من سورة النحل يقول الله تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ
اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ﴾، وفي
الآية الخامسة والأربعين من سورة فاطر يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْ
يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهِمَا مِنْ دَابَّةٍ
وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ﴾. فنجد في الآية الأولى: ﴿يُظْلِمُهُمْ﴾،
وفي الثانية: ﴿بِمَا كَسَبُوا﴾، وفي الأولى: ﴿عَلَيْهَا﴾، وفي الثانية: ﴿عَلَىٰ
ظَهْرِهِمَا﴾: ومن الحكمة في ذلك ما نتبينه مما يأتي: الآية الأولى تقدمها
الخبر عن الذين نهوا أن يتخذوا إلهين اثنين، وأن يشركوا الأصنام في
عبادته، وأن يجعلوا لها نصيباً من مالهم، ويدعوا الملائكة بنات ربهم، وأن
يقتلوا بناتهم وأداً خوف الفقر، وكل ذلك من أفعالهم ظلم منهم لأنفسهم
مع ظلمهم لغيرهم، فقال تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ﴾ أي بما
ظلموا به غيرهم وأنفسهم، الآية^(١). ولم يقل هنا ﴿عَلَىٰ ظَهْرِهِمَا﴾
احتراساً عن الجمع بين ضائها وضاء ظلمهم في جملة. وأما ﴿عَلَىٰ ظَهْرِهِمَا﴾
في سورة فاطر فليس معها في الجملة طاء أخرى^(٢). وهذا من حسن التأليف
وقصد الحروف مما يراعى في الفصاحة؛ ولا يخفى على أهل البلاغة^(٣).

وآية سورة فاطر قد تقدمها قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا

١-درة التنزيل (ص٤٩١) وملاك التأويل (٢/٦٠٦-٧٠٦).

٢-فتح الرحمن (ص٢٢١).

٣-درة التنزيل (ص٤٩١-٥٩١).

نُفُورًا ﴿٤٢﴾ أَسْتَكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ ﴿٤٣﴾ (فاطر: ٤٢-٤٣) على قوله: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ﴾، وهذا يشير على اجتراحاتهم، وسيئ اكتسابهم، لنفورهم، ومكرهم السيئ، فناسب ذلك قوله ﴿بِمَا كَسَبُوا﴾. وقال: ﴿مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا﴾ ليناسب في طول تركيبه قوله: ﴿بِمَا كَسَبُوا﴾، كما ناسب قوله ﴿عَلَيْهَا﴾ في الآية الأولى قوله: ﴿بِظُلْمِهِمْ﴾ في قلة حروفه، تناسب التوازن والتناظر والتقابل، فورد كل على ما يجب (١).

والمعنى في الآيتين الكريمتين أن الله تعالى لو أخذ الكفار بكفرهم ما ترك على ظهر الأرض مشركاً. فالمراد بالظلم هنا الكفر، والمراد بالدابة الدابة الظالمة وهي الكافر. هكذا نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وجاء في التفسير أن المعنى أن الله تعالى لو أخذ الناس بظلمهم بأنواع المظالم والمعاصي لمنع عنهم المطر، فانعدم النبات، وبعدمه يعدم الحيوان، ثم يعدم الإنسان (٢). فليس في المعنى مؤاخذه البريء بظلم الظالم. بل حتى لو أصاب البريء شؤمُ الظلم من الظالمين لكان لحكمة إلهية، ويعوض الله البريء في الآخرة بما هو خير وأبقى.

١- ملاك التأويل (٧٠٦/٢).

٢- غرائب آي التنزيل (١٥٢/٦٥٢).

-السؤال (١٨): القول بأن موسى ﷺ ساحر عليم نسب إلى كبار قوم فرعون في سورة الأعراف، ونسب إلى فرعون نفسه في سورة الشعراء، كيف نجمع بينهما؟ وما وجه اختصاص كل سورة بما فيها؟

-الجواب:

من روائع إعجاز القرآن الكريم أنه إذا ذكر قصة في عدة سور ذكر في كل سورة جزءاً، ونراه مؤدياً لغرض كامل في موضعه، ومناسباً له، بحيث لو بدلنا جزءاً مكان جزء لم يصلح للسياق، ولم نجد فيما نبدهه للتجربة دقة الأسلوب القرآني، وروعته. ومن النماذج الدالة على هذا ما اتجهت إليه عناية السؤال السابق. وإليك ما يتيسر من بيان: صدر الادعاء على موسى ﷺ بأنه ساحر عليم من فرعون مرة، ومن الملأ من قومه مرة، وذكر قول فرعون في سورة الشعراء في الموضوع المناسب له - كما سنبينه - بحيث لا يصلح في هذه السورة أن يذكر قول الملأ. وذكر قول الملأ في سورة الأعراف على وجه الصلاحية للموضع بحيث لا يصلح في هذه السورة ذكر قول فرعون. وذلك أن سورة الشعراء يتقدم فيها ابتداء مخاطبة فرعون لموسى ﷺ بقوله: ﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَمَّا كُنَّا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴾ (الشعراء: ١٨) الآيات من الآية الثامنة عشرة حتى الآية الثالثة والثلاثين في المحاوراة التي تمت بينهما، فناسب ذلك أن يذكر قول فرعون للملأ في قوله تعالى: ﴿ قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴾ (الشعراء: ٢٤)؛ لأن فرعون هو المتكلم بذلك أولاً، يريد تفسير قومه من متابعة موسى ﷺ^(١)، فهذا سياق - كما نرى - مترابط، بذكر ما قال فرعون أولاً وأخيراً، ولو ذكر قول الملأ بدل قوله ما كان مناسباً للسياق وتسلسله. أما سورة الأعراف فذكر فيها قول الملأ، في قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَلْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّكَ هَذَا

١- راجع كشف المعاني (ص ٥٨١ - ٦٨١).

لَسَّحِرٌ عَلِيمٌ ﴿الْأعراف: ١٠٩﴾. وبذلك تم استيعاب ذكر الذين ادعوا هذا الدعاء على سيدنا موسى ﷺ.

فالداعي إلى ذكر مقالة فرعون في سورة الشعراء هو ما شرحناه، ولم يكن ذلك الداعي موجوداً في سورة الأعراف فلم تذكر مقالة فرعون فيها، ووجد الداعي إلى ذكر مقالة الملائكة في سورة الأعراف، وهو أن يكون أصحاب المقالة المذكورة من فرعون وملئه قد استكمل ذكركم، بدون تكرار، وبدون اقتصار على بعضهم. والله أعلم.

- ١٩ -

-السؤال (١٩): ما السر في أن المولى عز وجل قدم الحياة في قوله تعالى: ﴿هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾؟

-الجواب:

يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (يونس: ٥٦) والمعنى أنه تعالى يحي ويميت في الدنيا من غير دخل لأحد في ذلك، وهذا يدل على أنه قادر على البعث والنشور، على معنى أنه تعالى يفعل الإحياء والإماتة في الدنيا فهو قادر عليهما في العقبى، لأن القادر لذاته لا تزول قدرته، والمادة القابلة بالذات للحياة والموت قابلة لهما دائماً وأدباً، ولا يخفى أن ذكر القدرة على الإماتة استطرادي لا دخل له في الاستدلال على البعث والنشور، والمشار إليه في آخر الآية بقوله ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ أي: في الآخرة بالبعث والحشر^(١).

ولهذا الاستطراد بذكر الإماتة دخل في بيان كمال القدرة الإلهية، والتنبيه إلى ما خفي على بعض المشركين إذ ظن أن الإماتة أمر سهل مقدور

١- الآلوسي (١١/٨٢١).

للبشر، مع أنها ليست كذلك، فكم من متعرض للهلاك نجا ولم يقدروا على إمامته، وهذا خليل الله ﷺ أرادوا موته بإحراقه فلم يمت ولم تحرقه النار. وإذا قلنا إن الإنسان قبل نفخ الروح يُعدّ ميتاً فلمَ قدم ﴿يُحْيِ﴾ على ﴿وَيُمِيتُ﴾. قلنا: قدم الإحياء للاهتمام بشأنه، فهو الذي يشير إلى الرد على منكري البعث، ويدل على البعث -كما ذكرنا- وفيه التذكير بنعمة الحياة التي هي من أعظم النعم، وخصوصاً الحياة الثانية في الدار الآخرة، التي هي الحياة الحقيقية، كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾ (العنكبوت: ٦٤) أي: الحياة الكبرى الحقيقية التي لا تنقطع. وأهمية الإحياء التي جعلته مقدماً في الآية تبلغ مبلغاً عظيماً حين نقول بحمله على معناه الحقيقي والمجازي حتى يشمل هذا الإحياء أو تشمل هذه الحياة ما يخص الإنسان من الفضائل كالعقل والإسلام والعلم، ففيه تذكير بنعمة هي أعظم النعم، وهي نعمة الإسلام والإيمان. ومن إطلاقات الحياة على الفضائل قوله تعالى: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ (الأنعام: ١٢٢)^(١). إنه أعظم إحياء في الدنيا.

- ٢٠ -

-السؤال (٢٠): عن قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ (إبراهيم: ٥) ولم يقل (صبور) مثلاً مع (شكور) ولم يجعل (شكور) على نمط (صبار)، فما الحكمة في هذا؟
-الجواب:

وزن فعول مثل (شكور)، (وصدوق) صيغة تدل على الدوام والاستمرار، فكان هذا الوزن في الآية الكريمة (شكور) مشعراً بالمطلوب من دوام شكر الله تعالى على نعمة، فإنها دائمة. مستمرة، على عبده، كحياته، وقواه

١ - فتاوى الرملي على هامش فتاوى البهتيمي (٤/٥١٢ - ٦١٢).

العقلية، والبدنية، وما لا يحصى، أما وزن فعال مثل (صبار) في الآية الكريمة المذكورة فلا يشعر بالدوام والاستمرار، بل هو مثل أكل وشراب، فإن الأكل والشرب ونحوهما ليس شيء منها مستمراً متوالياً بلا انقطاع، فكان هذا (صبار) هو المناسب، لأن المؤلمات المحتاجة إلى الصبر عليها ليست عامة، بل تقع في بعض الأحوال دون بعض^(١).

وكل هذا مناسب تمام المناسبة لموضوع الآية الكريمة، التي تتحدث عن السفن، وأن الله تعالى يجريها بأمره، وقال: ﴿إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ (الشورى: ٢٣).

وإذا تأملنا وجدنا ركود السفينة، وتعطلها عن الجري مؤلماً، وينقطع، فلنصبر على ما يؤلم، ووجدنا شأنها المعتاد أن تجري بيسر، فليكن شأننا دوام الشكر. وأكثر من ذلك أن أوقات الألم نفسها ليست أوقات صبر فقط، بل هي أيضاً أوقات شكر، فيستغرق الشكر كل الأوقات، ونحمد الله في كل حال، فإنه لا يحمد على مكروه سواه، فإن هذا المكروه مع الحمد والشكر والصبر يكون سبباً للفوز بالجزاء الأوفى ﴿إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (الزمر: ١٠). وأقل ما يستشعره المؤمن، ويحمد الله عليه عند حصول ما يؤلم أنه لم يكن أفزع من ذلك، أو أنه لم يكن مصيبة في دينه.

ويقول بعض العلماء إن الآية الكريمة تشير إلى آيات لكل صبار شكور، أي تشير إلى دلائل قدرة الله تعالى ومشيبته المطلقة في جريان السفينة في البحر كالجبال، وركودها لسبب معلوم أو مجهول، يدركها ويعتبر بها كل صبار على البحث العلمي، شكور ينسب هذه الآيات الباهرة إلى مبدعها جل جلاله. هذا والله ولي التوفيق.

١- المادة مأخوذة بتصريف من كشف المعاني (ص: ٩١٢-٩٢٢) سورة إبراهيم.

- ٢١ -

-السؤال (٢١) في الآية العشرين من سورة فصلت جاء ذكر السمع، والأبصار، والجلود وهي حاسة اللمس، ولم تذكر حاسة الذوق ولا حاسة الشم، فما الحكمة من ذلك؟

-الجواب:

ذكرت هذه الحواس خصوصاً، أعني السمع والبصر، واللمس، وترك ذكر حاستي الذوق والشم، لأن الذوق داخل في اللمس من بعض الوجوه، لأن إدراك الذوق لا يتأتى حتى يصير طرف اللسان ملامساً لجرم الطعام. وكذلك الشم لا يتأتى حتى يصير الأنف مماساً لجرم المشموم إذ تتطاير أجزاء دقيقة جداً من الشموم إلى الأنف فيلمسها أي يشمها، فكان الذوق والشم داخلين في جنس اللمس^(١).

- ٢٢ -

-السؤال (٢٢): جاء في سورة البقرة: ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾، وفي سورة آل عمران ﴿رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ فزاد ذكر الأنفس، وكذا في سورة التوبة ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ ولم يقل: رسول منكم، فما الحكمة في ذلك؟

-الجواب:

آية سورة البقرة في سياق دعاء سيدنا إبراهيم عليه السلام، يقول: ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (البقرة: ١٢٩)، أما آية سورة آل عمران ففي سياق الامتثال من الله تعالى على المؤمنين، فيناسبه ذكر ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ لمزيد

١- مادة الموضوع مأخوذة من كتاب جامع البيان في متشابه القرآن (٢/٦٢٢-٦٦٢).

الحنو والمنة، كما يشعر به هذا اللفظ، لفظ الأنفس، قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَنِي سَٰكِلِينَ مُبِينِينَ﴾ (آل عمران: ١٦٤). وكذلك سياق آية سورة التوبة، سياق منة وحنو، من الله تعالى على المؤمنين، بنبي متخلق بصفات ربه، قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (التوبة: ١٢٨). ف جاء في سياق المنة والرحمة والإشفاق في الآيتين ما يناسب ذلك السياق.

- ٢٣ -

-السؤال (٢٣) جاء في سورة البقرة: ﴿ءَأَمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ وفي آل عمران: ﴿بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ فما الفرق بين (إلى) و(على)؟ وما مناسبة كل منهما لموضعه؟

-الجواب:-

صدر الآية الكريمة في سورة البقرة: ﴿قُولُوا ءَأَمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ فهي خطاب للمؤمنين، وما أنزل إليهم يأتيهم من أي جهة، ومن كل جهة، يأتيهم منها من يبلغهم. فلفظ (إلى) للانتهاء، والدين ينتهي إليهم، ويصل إليهم من أي جهة، وليس لذلك جهة واحدة معينة، أما آية سورة آل عمران بلفظ (على) الذي يدل على جهة واحدة، وهي العلو، قال تعالى: ﴿قُلْ ءَأَمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ فالخطاب فيها ﴿قُلْ﴾ لرسول الله ﷺ، وهو والرسل عليهم الصلاة والسلام لا ينزل الوحي عليهم إلا من جهة العلو فقط، فتناسب وحسن لفظ ﴿عَلَيْنَا﴾ في هذا الموضع لذلك، كما حسن وناسب لفظ ﴿إِلَيْنَا﴾ في موضعه السابق، لما ذكرناه. أضف إلى ذلك فضل

تنويع الخطاب، فتارة يخاطب الله تعالى المؤمنين، وتارة يخاطب النبي ﷺ.
وأكثر خطاب النبي بـ على، كما أن أكثر خطاب الأمة بـ إلى^(١).

- ٢٤ -

-السؤال (٢٤): يقول الله تعالى في سورة الأنعام: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَتُوا مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ وفي سورة الشعراء بدون ذكر ما كذبوا به، وبالسين بدل (سوف)، فما وجه ذلك؟

-الجواب:

مجيء المعنى بأسلوبين مختلفين تنويع^(٢) في صياغة الكلام، وسورة الأنعام سابقة في المصحف الكريم على سورة الشعراء، فيقرأ الإنسان في تلاوة الختمة سورة الأنعام أولاً، فيجد الكلام فيها بسيط وإطناب -وهو المناسب للموضع الأول- ثم يقرأ سورة الشعراء فيجد الكلام نفسه لكنه بإيجاز واختصار -وهو المناسب للموضع الثاني إذ قد سبق بسطه.^(٣)

قال تعالى في سورة الأنعام: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَتُوا مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (الأنعام: ٥) وقال في سورة الشعراء: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَتُوا مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (الشعراء: ٦). فأشبع الألفاظ في الآية الأولى مستوفية معناها، فذكر فيها ما كذبوا به، وهو الحق الذي جاءهم من عند الله تعالى، وجيء بلفظ «سوف» من باب إشباع الكلام كذلك^(٤). وحذف قوله: «بالحق جاءهم» أي لم يذكر في الآية الثانية للعلم به

١- المادة مأخوذة من كتاب كشف المعاني في التشابه من المثاني لابن جماعة (ص ٧٠١-٨٠١).

٢- كشف المعاني (ص: ٤٥١).

٣- فتح الرحمن (ص: ٦١١).

٤- راجع درة التنزيل (ص: ٨٧) وغيره..

من الأولى، وهو مراد^(١). وهو معلوم أيضاً عند الإطلاق، فإنك إذا قلت: كذب فلان واكتفيت بذلك كان معناه أنه كذب بالحق، فلو أردت غير ذلك صرحت بما تريد فقلت مثلاً: كذب فلان مسيماً، وكذب فلان رسول الله ﷺ^(٢). والحذف المشار إليه في الآية الثانية يناسبه الاختصار، فجيء فيها بالسين بدلاً من سوف^(٣)، وهي تؤدي معناها وقيل إنها مختصرة منها^(٤). والمشهور أن السين أقرب من سوف، فأخذ بعضهم من هذا أنها هنا -دون سوف- تشير إلى تعظيم شأن القرآن، وأوثرت في هذه الآية لأن القرآن مذكور قبلها صراحة، في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحَدَّثٍ إِلَّا كَأَنَّهُ عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾ (الشعراء: ٥)، ولم يذكر بهذه الصراحة في الآية الأولى^(٥). ومن السهل ملاحظة الإيجاز في آية سورة الشعراء، وما قبلها، فكان المناسب مجيء الإيجاز مع الإيجاز. ومن السهل أيضاً ملاحظة الإطناب في آية سورة الأنعام، وما قبلها، فكان من المناسب مجيء الإطناب مع الإطناب. ففي آيات هذه السورة الكريمة بسط دلائل القهر والافتقار الإلهي، وانفراده تعالى بالخلق والإيجاد، والإنعام بالكواكب والنجوم للاهتداء والضياء، وخلق الإنسان من طين^(٦). وما قضى الله من أجل، وإحاطة علمه عز وجل في السموات وفي الأرض ﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ (الأنعام: ٣).

١- الآلوسي (٢٩/٧).

٢- درة التنزيل (ص: ٨٧).

٣- الآلوسي السابق.

٤- درة التنزيل السابق، ولم يرتض القول بالسين مختصرة من سوف، وإن قاله بعض النحويين.

٥- راجع كشف المعاني (٥٥١).

٦- راجع ملاك التأويل (١/٨٢-٢٨٢).

-السؤال (٢٥): يقول الله تعالى في سورة الأنعام: ﴿وَالزَّيْتُونَ وَالرَّمَانَ مُشْتَبِهًا وَعَيْرَ مُشْتَبِهٍ﴾ ثم يقول في السورة نفسها: ﴿وَالزَّيْتُونَ وَالرَّمَانَ مُشْتَبِهًا وَعَيْرَ مُشْتَبِهٍ﴾ فما وجه اختلاف المختلف في الآيتين مع اتحاد مرماههما؟

-الجواب:

في الآية التاسعة والتسعين من سورة الأنعام يقول الله تعالى: ﴿وَالزَّيْتُونَ وَالرَّمَانَ مُشْتَبِهًا وَعَيْرَ مُشْتَبِهٍ أَنْظَرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ﴾ (الأنعام: ٩٩)، وفي الآية الحادية والأربعين بعد المائة من السورة نفسها يقول عز وجل: ﴿وَالزَّيْتُونَ وَالرَّمَانَ مُشْتَبِهًا وَعَيْرَ مُشْتَبِهٍ كَلُّوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ﴾: مشتبهًا، ومتشابهًا متقاربان في المعنى، وأصولهما واحدة، أعني الشين والباء والهاء.

تقول: هذا يشبه هذا أي يقاربه أو يماثله. وبناء (مشتبه) على خمسة أحرف، وبناء (متشابه) على ستة أحرف، فالأول أخف من الثاني، فورد في الآية الأولى أخف البناءين، وفي الآية الثانية أثقلهما، رعاية للترتيب والترتيب أمر متقرر يراعى. وذلك مثل «تبع»، و«اتبع»، فصي سورة البقرة: ﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ﴾ (البقرة: ٣٨)، وفي سورة طه يقول تعالى: ﴿فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ﴾ (طه: ١٢٣). ثم نقول في الآية الأولى: ﴿أَنْظَرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ﴾، «ينعه» أي: نضجه. أي انظروا نظر اعتبار إلى ذلك^(١). ومع هذه الآية آيات قبلها^(٢)، وكلها مبنية على الاعتبار والاتعاظ، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى﴾ (الأنعام: ٩٥) الآية، وقوله: ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾ (الأنعام: ٩٦) الآية، إلى قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ

١- تفسير الجلالين.

٢- أربع آيات قبل الآية (٩٩).

نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ ﴿ (الأنعام: ٩٩) إِلَى أَنْ قَالَ: ﴿ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ ﴾ الآية، فلما كان مبني هذه الآيات على الاعتبار والتنبيه بما أقامه الله تعالى من الدلائل على وحدانيته كان المناسب الأمر بالنظر والاعتبار، فقال: ﴿ أَنْظِرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ ﴾. أما الآية الثانية وما حولها من آيات عديدة، فمبنية على تفصيل، أنواع خلقها الله تعالى، وأقام بها حياة عبادته مأكلاً وملبساً ومعونة في حركاتهم وانتقالاتهم، وبيان مباح ذلك ومحرمه. فكان الملائم هنا قوله تعالى: «كلوا من ثمره إذا أثمر». فقبل الآية الثانية قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَمُ أَنْعَمٌ وَحَرَّتْ جِجْرٌ ﴾ (الأنعام: ١٢٨) أي: منع، لا يأكلها إلا من نشاء، ومما بعدها قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ وَفَرَشَاءٌ كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ ﴾ (الأنعام: ١٤٢). إلى غير ذلك من الآيات^(١). فجاء كل موضع على ما يجب ويلاءم، ولا يناسب خلافه^(٢).

﴿الرَّكِنُ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ (هود: ١).

-٢٦-

-السؤال (٢٦): نسمع القرآن الكريم يقدم السمع على البصر في آيات عديدة، فهل ذلك مطرد؟ وما الحكمة فيه؟

-الجواب:

القرآن الكريم إذا ذكر السمع ومعه البصر أو الأبصار قدم السمع باطراد. وإذا أدخلنا في حسابنا الأفعال والأسماء مثل ﴿ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ ﴾ (الكهف: ٢٦) وكذا ﴿ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمِ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ ﴾ (هود: ٢٤) قلنا إن الغالب أيضاً تقديم السمع مثل ﴿ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (الإسراء: ١)، وكذا ﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ

١- باقي آيات سورة الأنعام حتى الآية (٥٤١).

٢- الموضوع كله مأخوذ بتصريف من ملاك التأويل.

يَأْتُونَنَا ﴿(مريم: ٣٨). ولعل الحكمة في تقديم السمع على البصر في غالب الآيات القرآنية هي الإشارة إلى أفضلية السمع، فقد صرح العلماء أن التقديم دليل الأفضلية، ولأن في السمع من المنافع الدينية ما ليس في البصر، فالعمى وقع في حق بعض الأنبياء عليهم الصلاة والسلام - على قول - ولم يقع الصم إجماعاً، لأنه إذا لم يسمع كلام المستمع لم يجبه فلم يبلغ عن الله تعالى، ولأن القوة السامعة تدرك المسموعات من جميع الجهات الست، في النور والظلمة، أما القوة الباصرة فلا تدرك المرئي إلا من جهة المقابلة بواسطة إشعاع أو ضياء، وما عمّ نفعه زاد فضله، ولأن الله تعالى قرن السمع بالقلب أي العقل في استفادة العلوم، إذ قال: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ (ق: ٣٧)، والعقل أشرف ما في الإنسان فكذا ما قرن به، ولأن متعلق السمع هو النطق الذي يمتاز به الإنسان عن الحيوان، أما السمع فمشترك بين الإنسان والحيوان في إدراك الأشكال والألوان، وذهب قوم إلى تفضيل البصر على السمع لكن الأدلة على تفضيل السمع أقوى، وتفضيله هو قول أهل الاختصاص، وهم الفقهاء لا علماء الكلام، هكذا قال الشيخ ابن حجر البهتيمي في الفتاوى الحديثية (ص ٧٨، ٧٩)، وقد وجه العلماء المواضع التي قدم فيها البصر كقولهم في الآية الكريمة: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لِيُتَوُّا لَهُ، غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصَرَ بِهِ، وَأَسْمِعُ﴾ (الكهف: ٢٦): قدم البصر على السمع لأن المقام مقام المبصرات من أهل الكهف وما ذكر في قصتهم. أما قوله تعالى: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾ (مريم: ٢٨) فقدم السمع لما عرفنا، ولأن المعنى أن الناس يوم القيامة يكون سمعهم وبصرهم أقوى ما يكون ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ﴾ (ق: ٤٢) فالسمع أولاً والخروج من القبور، ثم يبصرون ما يبصرون.

-السؤال (٢٧): أريد أن أعرف الفرق بين ﴿بَدِئُ الْخَلْقِ﴾ و﴿بَدِئُ اللَّهِ الْخَلْقِ﴾ وهل هناك سبب في اختصاص كل كلمة منها بموضعها في القرآن الكريم؟

-الجواب:

الفرق اللفظي بين الكلمتين أن «بيداً» ماضيها «بدأ»، و«بيدئ» ماضيها «أبدأ» بزيادة ألف في أولها. وزيادة المبني تدل على زيادة المعنى كما يقول العلماء. وجاء الفعلان الثلاثي «بدأ» والرباعي «أبدأ» في مواضع منها قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (١٩) قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ (العنكبوت: ١٩-٢٠). فقال بعض العلماء: إن في «بيدئ» غرابة حيث لم يسمع ماضيها «أبدأ» من العرب، وفيه قوة من زيادة الألف وهذا مناسب للمعنى المقصود وهو الخلق الشديد الغرابة إذ كان خلقاً من العدم كالتراب أو بالتولد كالإنسان من التراب ومن أبيوين.

أما «بيداً» من الثلاثي فيعني خلقاً ثانياً وهو جعل المخلوقات أطواراً وأشكالاً مختلفة. والخلق الأول قد علموه بدليل أسلوب الآية ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ﴾ أما الخلق الثاني فمطلوب منهم أن يعلموه ويتأملوه بأن يسيروا في الأرض فينظروا ويعلموا كيف جعل الله هذه المخلوقات أطواراً والصنف الواحد منها ألواناً كاختلاف الأطفال مثلاً ذكورة وأنوثة وبياضاً وسمرة. فإذا علمت أن الخلق الأول من عدم أو بالتولد سابق ولو بالقوة على الخلق الثاني أعني أوصاف نفس الخلق الأول المختلفة المفعولة فيه لا تشك في أن الأول أغرب من الثاني. ولذا ترى التمدح بأصل الخلق في القرآن العظيم أكثر من التمدح بجعل المخلوقات ذات أطوار مختلفة^(١).

١- روح المعاني (٧٤١/٠٢).

-السؤال (٢٨): حصل تقديم وتأخير في ذكر قارون، فجاء قبل فرعون وهامان في سورة العنكبوت، وجاء بعدهما في سورة غافر، فما الحكمة في ذلك؟

-الجواب:

أهلك الله عاداً وثمود، وأخبر بذلك فقال: ﴿وَعَادًا وَثَمُودًا وَقَدْ تَبَيَّرْنَا بِكُمْ مِنْ مَسَكِينِهِمْ وَرِزِينَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾ (العنكبوت: ٣٨)، أي: ذوي بصائر، يقال فلان مستبصر إذا كان عاقلاً لبيباً صحيح النظر، فكانوا عارفين بالحق، بوضوح الحجج والدلائل، ولكنهم كانوا ينكرون الحق متابعة للهوى، كقوله تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ (النمل: ١٤). أو كانوا مستبصرين لو نظروا نظر تدبر وتفكر^(١). وبجوار قوله تعالى: ﴿وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾ قال: ﴿وَقُرُونُ وَفِرْعَوْنَ وَهَمْرِكَ﴾ (العنكبوت: ٣٩) فذكر قارون أولاً مجاوراً للمستبصرين؛ لأنه كان مستبصراً، أعني حافظاً للتوراة، كما كان قريباً لموسى عليه السلام، فكان أشد بصيرة من فرعون وهامان، فذكر أولاً.

أما في سورة غافر فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٣٢﴾ إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَمَانَ فَقَالُوا سِحْرٌ كَذَّابٌ﴾ (غافر: ٢٣-٢٤)، وهذا سياق - كما هو واضح - يذكر الرسالة، وكانت إلى قارون لكن بعد فرعون وهامان، فذكر قارون بعده، وقد خالف الرسالة أيضاً، وكان عدواً للدين^(٢)، وبهذا ظهر وجه تأخير قارون هنا، كما ظهر وجه ذكره أولاً فيما سبق. والله أعلم.

١- غرائب أي التنزيل (ص: ٥٩٣).

٢- كشف المعاني (ص: ١٠٩٢).

-السؤال (٢٩) قال الله تعالى: ﴿وَقَالَتِ آخْرُجْ عَلَيْنَ﴾ (يوسف: ٣١)
ولم يقل: «وقالت اخرج إليهن» فما وجه ذلك؟
-الجواب:

الخروج يختلف، فإن كان خروجاً عادياً قلنا خرج إلى كذا، وإن كان خروجاً بقهر وغلبة، أو بجمال وزينة، أو بأية وأمر عظيم فإنه يقال فيه: خرج على كذا. وهذا هو الذي معنا هنا: ﴿وَقَالَتِ آخْرُجْ عَلَيْنَ﴾ (يوسف: ٣١) أي: بهذا الحسن والجمال. وكذا قوله تعالى في شأن قارون، ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بَلِّغْنَا لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الْأَصْبَرُونَ﴾ (القصص: ٧٩-٨٠).
وقوله تعالى في سياق آية، ومعجزة سيدنا زكريا عليه السلام، وإمساك لسانه إلا عن ذكر الله: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ - أي أشار إشارة مفهومة - أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ (مريم: ١١) أي شكر الله تعالى على أن حملت زوجته بغلام. ومن النوع الأول العادي الذي لم يقتصر بمعجزة أو بنحوها مما ذكرنا، فلا يكون بـ «على»، بل بـ «إلي» قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ (الحجرات: ٥)^(١).

١ - هذا التوجيه وهذه النماذج من الآيات في كتاب غرائب أي التنزيل (ص: ١٢٢).

-السؤال (٣٠): يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿رَجَالٌ لَا لُئْلِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ﴾، والتجارة تشمل البيع، فما وجه ذكره معها؟
-الجواب:

يقول الله تعالى: ﴿رَجَالٌ لَا لُئْلِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ (٣٧) لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يُرْزِقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿النور: ٢٧-٢٨﴾ التجارة هي مجموعة الشراء والبيع، ومن هنا جاء السؤال عن وجه عطف البيع عليها في الآية الكريمة وهو جزء من العملية التجارية. والجواب أن التجارة حرفة للشخص الذي يسمى تاجراً يقصد منها الربح، فهي مقصودة بشقيها الشراء والبيع، فلم يدخل فيها البيع الذي يكون معاوضة لا يقصد منه الربح، كمن يبيع متاعاً لا يحتاج إليه، أو يكون محتاجاً إلى ثمنه، وكمن يستبدل من صديقه أو من غير صديقه كتاباً بحقيبة مثلاً. فهذا البيع الذي لم يقصد منه الربح هو البيع المعطوف على التجارة، وهو غير البيع الذي يقصد منه الربح والذي هو أحد شقي التجارة^(١) كما ذكرنا. وبنظرة سريعة إلى ظاهر الآية ومطلق البيع نقول: إن البيع الذي يلهي عن شرائع الله تعالى مذموم في الآية الكريمة مرتين بعطفه باسمه على تلك التجارة، ومرة في ضمنها. وهذا تأكيد على ذمه. والبيع في نظر التاجر أهم من الشراء، فكان ذم البيع زائداً لأهميته عن ذم الشراء، لأن التاجر يشتري ما يظن أنه سيربح فيه، وليس الربح حاضراً، أما حين يبيع فعادة يكون الربح معلوماً لا مظنوناً، ويكون ربحاً حاضراً لا منتظراً فكان اهتمامه بالبيع وحرصه عليه أكبر من اهتمامه بشراء هذا المبيع يوم اشتراه^(٢)،

١- راجع جامع البيان للدكتور زكي أبي سريح (٢/٥٠١-٦٠١).

٢- السابق، نفسه.

وما كانت النفس أحرص عليه كان ذمه حين يكون مذموماً أشد مما دونه. ومما يدلنا على أهمية البيع عن الشراء النص عليه مع أن الشراء وغيره مثله في الحكم من كل ما يعطل عن الجمعة^(١) في قوله تعالى: ﴿تَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (الجمعة: ٩) قال العلماء: إن غير البيع كذلك من كل ما يؤدي إلى الذهول عن هذا الواجب، كالشراء، وتوزيع الصدقة، والشركة، إلى غير ذلك^(٢). والله أعلم.

- ٣١ -

-السؤال (٣١): في الآية الحادية والثلاثين من سورة الأحقاف أن من آمنوا من الجن بعد كفرهم يغفر لهم بعض ذنوبهم، وفي سورة الأنفال أن الذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف. فكيف نوفق بين الآيتين؟ وليس في الآية الأولى أن الجن يدخلون الجنة أو يثابون؟

-الجواب:

يقول الله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يُعْذِرُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ﴾ (الأنفال: ٢٨) وهذه الآية ذات موضوع ينبغي أن تفهم في حدوده. ومعناها: إن ينتهوا عن المعاصي والشرك بالله يغفر لهم ما قد سلف من ذلك.

أما حقوق العباد فهي موضوع آخر، ولا يترك الله منها شيئاً إلا وصله لصاحبه، أو أعطاه من فضله حتى يرضى.

والآية تنص على ما قد سلف، أما ما يجد بعد إيمانهم من المعاصي، أو الردة فشيء آخر، والآية لا تقول إنهم يغفر لهم ما مضى وما يستقبل.

١- راجع تفسير القرطبي (١/٤٠١-٥٠١)، وغيره.

٢- السابق نفسه.

-السؤال (٣٢): ذكر الله تعالى الصلاة وإقامتها في آيات كثيرة وأحياناً بدون ذكر إقامتها، فما الحكمة في هذا؟
-الجواب:

كل موضع في القرآن مدح الله تعالى فيه بفعل الصلاة ذكرها بلفظ الإقامة، وإقامة الصلاة عبارة عن توفية حقوقها وشرائطها، من طمأنينة، وخشوع، وغير ذلك. قال تعالى: ﴿وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ﴾ (النساء: ١٦٢) - ولم يقل والمصلين - نصب ﴿وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ﴾ على المدح.

وقال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ البقرة: ٤٣ وصلوا وأما حديث القرآن عن صلاة المنافقين فبدون ذكر الإقامة لأنهم لا يقيمونها، وإنما تجيء منهم كأنها جسد بلا روح، قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾ (٤) الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ (الماعون: ٤-٥) ولم يقل فويل للمقيمين الصلاة وأيضاً لم يقل الله تعالى عن المنافقين وإذا أقاموا الصلاة أقاموها كسالي، وإنما قال: ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالِي يُرَأَوْنَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (النساء: ١٤٢)، وقال: ﴿وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى﴾ (التوبة: ٥٤)، وهكذا وجدنا لفظ الإقامة مختصاً بمواضع المدح، وفيه تنبيه على أن المقصود من فعلها هو توفيتها حقوقها وشرائطها كما أشرنا، لا الإتيان ببيئاتها فقط. ولهذا روى أن المصلين كثير، والمقيمين لها قليل. وقد ذكرت الصلاة عموماً في القرآن الكريم حوالي مائة مرة، إما يتوعد التاركين لها أو المؤخرين لها عن مواقيتها بالعقوبة والملامة. أما المشركون فقد اخترعوا صلاة يصلونها عند البيت الحرام، سماها الله تعالى مكاءً وتصدية، أي ما هي إلا صفير، وتصفيق، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾

بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿ (الأنفال: ٣٥) سماها الله تعالى ﴿مُكَّاءٌ﴾ أي صغيراً، و﴿وَتَصْدِيَةٌ﴾ أي تصفيقاً تنبيهاً على أنها باطلة، ولا اعتداد بباطل، فهم في فعلهم هذا كظائر المكاء يمكو، أي يصفر بصوته، ويصدي أي يصفق بجناحيه.

-٣٣-

-السؤال (٣٣): هل صحيح أن القرآن أشار في بعض آياته إلى الصلوات الخمس وأوقاتها؟ وما الحكمة من الإشارة إلى وقت الصباح قبل المساء تارة، والإشارة إلى وقت المساء قبل الصباح تارة؟

-الجواب:

يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿فَسَبِّحْنَا اللَّهَ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ (الروم: ١٧-١٨). ذهب جمع من الأجلة إلى أن المراد من التسبيح والحمد ظاهرهما، كأن نقول في تحصيل هذا المطلوب: سبحان الله، والحمد لله، وفي هذه الأوقات المشار إليها في الآيتين الكريمتين. وصح عن ابن عباس رضي الله عنهما أن التسبيح حين نمسي صلاة المغرب، وحين نصبح صلاة الصبح، وعشياً صلاة العصر، وحين نظهر صلاة الظهر، فالأربعة مشار إليها وإلى أوقاتها في هاتين الآيتين، وأما العشاء ففي قوله تعالى في سورة أخرى: ﴿وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ﴾ (النور: ٥٨). وفي رواية أخرى أنه قال في ﴿حِينَ تُمْسُونَ﴾ المغرب والعشاء - إلى آخره.

وقدم الإمساء على الإصباح لتقدم الليل والظلمة. وأفاد الفخر الرازي أن تقديم الإمساء على الإصباح ها هنا لأنه آخر الوقتين فيذكر بالآخرة، وهذا هو المناسب لأن أول الكلام يشير إلى الآخرة، وكذا آخره، فإن قيل ذلك قوله تعالى في ذكر الحشر والإعادة: ﴿اللَّهُ يَبْدُؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ

إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿ (الروم: ١١) وغيرها من الآيات، وبعد ذلك قوله تعالى مشيراً إلى إخراج الناس في الآخرة: ﴿ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمَاتِ وَيُخْرِجُ الْمَمَاتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ نُخْرِجُكُمْ ﴿ (الروم: ١٩)، وغيرها كذلك. فلهذه المناسبة والحكمة، قدم ما يشير إلى المساء. وقدام ما يشير إلى الصباح في قوله تعالى: ﴿ وَسَبِّحْهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿ (الأحزاب: ٤٢) لما علمنا من أن البكرة، أي الصباح، أول مقدم، وأن الأصيل، أي آخر النهار، من العصر إلى الدخول في الليل - كالعشي - آخر. فجاء على الأصل من تقديم المقدم وتأخير المؤخر.

ومن لم يفسر التسبيح بالصلاة في هذه الأوقات قال إنه على ظاهر معناه من تنزيه الله تعالى وتدرج فيه الصلاة، وذلك لأن التنزيه المأمور به يتناول التنزيه بالقلب وهو الاعتقاد الجازم، وباللسان مع ذلك وهو الذكر الحسن، وبالأركان - أي الأعضاء الظاهرة - معهما جميعاً وهو العمل الصالح، والصلاة أفضل أعمال الأركان، وهي مشتملة على الذكر باللسان، والقصد بالجنان، فالأمر بالتنزيه يتضمن الأمر بالصلاة في هذه الأوقات^(١). والله أعلم.

١- روح المعاني (١٢/٧٢-٨٢). وفيه مزيد.

-السؤال (٣٤): جاء في القرآن الكريم وصف النبي ﷺ بأنه بشير و نذير، بتقديم البشارة، وأحياناً بتأخيرها، فما تفسير ذلك؟
-الجواب:

يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ (البقرة: ١١٩) يخاطب نبيه ﷺ فناسب كرامته تقديم البشارة^(١). والبشارة هي الإعلام المقترن بما يسر القلب، من الوعد بحسن الجزاء على الإيمان والعمل الصالح^(٢). والندارة هي الإعلام المقترن بالتخويف من عاقبة الكفر والمعاصي.

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ (الأحزاب: ٤٥)، فخاطبه، فكرمه بتقديم وصف البشارة كذلك. ويقول -عز من قائل-: ﴿ أَلَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴾ (هود: ٢)، ونجد هنا تقديم الإنذار على البشارة لأن الآية خطاب للمشركين أولاً، فكان المناسب تقديم النذارة تخويفاً من عبادة غير الله تعالى، كما أن الغرض الأصلي من البعثة هو الزجر عن الشرك وتهديد من يستحق التهديد. وعن هذا ذُكر الإنذار وحده في بعض المواضع، كقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ ﴾ (هود: ١٢).

ونقول أيضاً: تقديم الإنذار على التبشير في بعض المواضع لأن الإنذار للتخلي عن الكفر، والتبشير للتخلي بالإيمان، والتخلية مقدمة على التحلية. أضف إلى ذلك أيها القارئ الكريم أن الإنذار يعم الكفار والمؤمنين، تخويفاً لهؤلاء أن يعودوا كفاراً، وتحذيراً لهم من كبائر الإثم والفواحش. وهكذا

١- كشف المعاني لابن جماعة (ص: ٨٠٢).

٢- تفسير المنار (١١/٩١١).

نجد لتقديم الإنذار على التبشير وجهاً، ولتقديم التبشير على الإنذار وجهاً، وللاقتصار على الوصف بالإنذار وجهاً. وليس في القرآن الكريم قَصْرُ شأن نبي من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام على التبشير فقط وذلك لأن الواقع أنه لم يؤمن كل قوم رسول أبداً، ولكن قد يكذب رسولاً كل قومه في أمر ما، وإن صدّقه المكذب في غيره. وقد أخبر نبينا ﷺ ببقرة تكلمت، فتعجب القوم، فقال ﷺ: «أمنت بهذا أنا وأبو بكر وعمر»^(١) أو كما قال، ولم يكونا حاضرين، ولكنها الثقة الكاملة بقوة إيمانهما^(٢). هذا وغني عن البيان أن الرسالة المحمدية بدأت بقوله تعالى: ﴿قُرْآنًا نَزَّلَ﴾ (المدثر: ٢)، وليس هناك «وبشر»؛ لأنه لم يوجد يومها من يبشّر بشيء.

١- انظر حكم المثاني للسيد أحمد خليل (٧٠٢/١) وعمدة التحقيق السابق.

٢- السابق.



الفصل الرابع :

مسائل في القراءات

-السؤال (١): اطلعت على مصحف مطبوع في مصر برواية ورش عن نافع، وقد وقعت فيه أرقام الآيات في مواضع غير التي في مصحفنا، فالبسمة أو الفاتحة فيه بدون رقم، و﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ رقم (١)، و﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ رقم (٦).

-الجواب:

القرآن الكريم نزل على سبعة أحرف، بعضها أكثر حروفاً وكلمات من بعض، فنزلت سورة الفاتحة بالبسمة آية منها في بعض الأحرف السبعة، ونزلت في البعض الآخر بدونها، فمن قرأ بحرف نزلت فيه البسمة آية من الفاتحة كان رقمها في المصحف ١، ورقم ٦ بعد ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ كما في مصحفنا، ومن قرأ بحرف لم تنزل فيه البسمة آية من الفاتحة كانت الآية الأولى منها رقم ١ هي ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، ورقم ٦ بعد ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، وورش يقرأ على هذا الحرف، ولهذا وجدت الترقيم في مصحفه كما ذكرت. وهذا هو الصحيح. وأضيف إلى ذلك أنني اطلعت على مصحف مطبوع في بعض البلاد العربية برواية ورش لكن ترقيم آياته كترقيم مصحفنا لحفص، فكانت كتابته لورش وترقيم آياته لغير ورش. وهذا - وإن كان لا يضر القرآن - يعد تلفيقاً يأباه العلم، فلا يليق.

هذا، ومما يدل على أن الاختلاف في عدد الآيات كالاختلاف في القراءات من حيث إنه مروى، وبتعليم مرفوع، وصواب: أن عبد الله بن الإمام أحمد روى في مسند أبيه أن ابن مسعود رضي الله عنه قال: تمارينا في سورة من القرآن، فقلنا: خمس وثلاثون آية، ست وثلاثون آية.. إلى أن ذكر أن سيدنا علياً رضي الله عنه قال لهم: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركم أن تقرؤوا كما علمتم. ففي هذا تصويب للعديد، وأن الجميع مروى بالتعليم. وهذه الرواية

أسندها الطبري أيضاً في تفسيره، وأوردها الداني في كتاب البيان. وأسند الداني إلى ابن مسعود أن رجلاً أقرأه ثلاثين آية من سورة، فعدّها بخلاف ما تعلمه ابن مسعود، وجاء آخر فقرأ من نفس السورة ثلاثين آية فعدّها بخلاف العددين السابقين، فرفع الأمر إلى رسول الله ﷺ وكان الجواب نفس الجواب: «اقرأوا كما علمتم»، ذكره الداني بإسنادين.

وعدد الآيات منقول من طرق تختلف عن طرق نقل القراءات، فورش روى عدد الآيات عن نافع عن أبي جعفر وشيبة، وأخذ القدماء من أصحاب نافع بهذا العدد من هذه الطريق، ويسمى عدد المدني الأول. وقال السخاوي إن الذي عليه الآخذون لقراءة نافع اليوم هو عدد المدني الأخير، رواه إسماعيل بن جعفر عن ابن جمار عن شيبة بسنده إلى السيدة أم سلمة أم المؤمنين رضي الله عنها، وترقيم الآيات في مصحفنا لحفص عن عاصم على عدد الكوفيين، وهو مسند إلى أبي عبد الرحمن السلمي عن سيدنا علي في بعضه وعن غيره في البعض الآخر. فما رأيت أياً القارئ الكريم لورش كالذي نراه لحفص، الجميع صواب، مروى بتعليم، ليس فيه اختراع من أحد، أو اجتهاد بدون أصل^(١).

١- مصحف برواية ورش. مصحف برواية حفص. مصحف برواية ورش طبع الدار التونسية. مصحف برواية ورش طبع مجمع الملك فهد. كتاب «القرآن والقراءات» للدكتور عبد النفور محمود مصطفى (ص ١٤٤-٢٤٤). جمال القراء للسخاوي (١/٩٨١-١٠٩١، ٢٣٢-٢٣٢)، شرح المخللاتي على ناظمة الزهر للشاطبي (ص ١٠١-٢٠١).

-السؤال (٢): كثيراً ما نسمع الحفاظ في بلادنا إذا قرؤوا: ﴿سَيَصِلُنَّ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ (المسد: ٣) وصلوها بما بعدها ووقفوا على ﴿وَأَمْرَاتُهُ﴾ (المسد: ٤) فهل هذا جائز؟

-الجواب:

حث القرآن الكريم على معرفة الوقوف في قوله تعالى: ﴿وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ رَتِيلًا﴾ (المزمل: ٤) قال سيدنا علي عليه السلام: الترتيل: تجويد الحروف ومعرفة الوقوف^(١). وروى أبو جعفر النحاس بسنده عن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: لقد عشنا برهة من دهرنا وإن أهدنا ليوثي الإيمان قبل القرآن، وتزل السورة على محمد صلى الله عليه وسلم فنتعلم حلالها وحرامها وأمرها وزاجرها وما ينبغي أن يوقف عنده منها، وذكر أن في هذا دليلاً على أن تعليم الوقف كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٢).

وقد تأمل العلماء وقوف النبي صلى الله عليه وسلم، وتدبروا معاني القرآن، وأتقنوا التلاوة، واستنبطوا مما عرفوا يقينا أن للوقف والوصل ألواناً، منها اللازم، ومنها الجائز، ومنها الممتنع، وشرحوا ذلك تفصيلاً، وعينوا مواضعه موضعاً موضعاً في القرآن الكريم، وخلاصة ما قالوه في الموضوع الوارد في سؤال السائل الكريم أن ﴿وَأَمْرَاتُهُ﴾ يجوز أن يكون معطوفاً على الضمير في ﴿سَيَصِلُنَّ﴾، وعليه فالأوجه^(٣) هو ما تسمعه من الوصل هكذا: ﴿سَيَصِلُنَّ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ و﴿وَأَمْرَاتُهُ﴾ ويسمى هذا الوقف على ﴿وَأَمْرَاتُهُ﴾ وقفاً كافيًا، ويحسن الابتداء بما بعده: ﴿حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ على معنى: أعني

١- الإتيان (٨٥/١) تحقيق البيضا.

٢- القطع والائتلاف للنحاس (ص ٢١) تحقيق المطرودي والإتيان ونسبه أيضاً إلى البيهقي في سننه وفي الهامش أنه فيه كتاب الصلاة باب أنه إنما قيل: يؤمهم أقرؤهم.

٣- النيسابوري بهامش الطبري (٢٩١/٠٣).

-أو أذم- حمالة الحطب^(١)، فهي جملة جديدة مستقلة لفظاً. وعلى ما ذكرنا يتبين أنه وقف صحيح. وممن ذكره واعتمده من أئمة هذا الشأن أبو حاتم^(٢).

ووصل قوله تعالى: ﴿سَيَصِلُنَّ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ بقوله: ﴿وَأَمْرَاتُهُ﴾ ﴿لما هو معلوم عند الأئمة من أنهم لا يقفون على المعطوف عليه دون المعطوف^(٣). اللهم إلا في حالات مفصلة عندهم منها ضيق النفس.

وقولنا: يجوز أن يكون ﴿وَأَمْرَاتُهُ﴾ معطوفاً على ضمير ﴿سَيَصِلُنَّ﴾ يعني: ويجوز أمر آخر. وبيانه أنه يجوز أن يكون ﴿وَأَمْرَاتُهُ﴾ مبتدأ، خبره الآية الأخيرة جملة ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾، و﴿وَأَمْرَاتُهُ﴾ حال أو كما ذكرنا بتقدير أعني أو أذم. وعلى هذا يكون الوقف على ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ كافياً، أما الوقف على ﴿حَمَالَةٌ﴾ في هذا الوجه فلا، فإنه لا وقف على المبتدأ دون خبره. اللهم إلا ما هنا من قوله تعالى ﴿ذَاتَ لَهَبٍ﴾ فإنه يوقف على ﴿وَأَمْرَاتُهُ﴾ لأنه رأس آية وإن كان ما بعده مرتبطاً بما قبله. وهم يفضلون في هذا أن لا يقف إلا في آخر السورة، والأمر واسع، ولكل وجهة جائزة. والله أعلم.

١- المكتفى للداني (ص ٩٩٢)، ومنار الهدى للأشموني (ص ٧٣٤)، والمقصد للأنصاري.

٢- القطع والائتشاف السابق (ص ٦٢٨-٧٢٨).

٣- انظر مثلاً الإتيان (١/٦٢٢).

-السؤال (٣): سمعت من إذاعة القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّيَهُمُ الْبُاسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصَرَ اللَّهُ ۗ أَلَا إِنَّ نَصَرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ (البقرة: ٢١٤).

قرأها القارئ برفع الفعل (يقول)، وهو فيما نقرأ منصوب وجوباً بعد حتى، فما حقيقة ذلك؟

-الجواب:

الآية الكريمة تذكر مثل الذين خلوا من المؤمنين الصابرين مع رسلهم، وهو أنهم أصابتهم الشدة في المال، وشدة الحال^(١)، وأزعجوا إزعاجاً شديداً بأنواع البلاء حتى انتهى أمرهم إلى أن قالوا: متى يأتي نصر الله؟ قالوا طلباً للنصر، وتمنياً له، واستطالة مدة الشدة، لا شكاً وارتياباً^(٢).

فحاشاهم أن يشكوا والرسول أعلم الخلق بربه، وأتباعه هم المؤمنون السابقون، الواثقون بوعده تعالى. فالإخبار عن الماضي تعبيراً بالمضارع لاستحضار تلك الحالة العجيبة، وما كان للحال ولو تقديراً يرفع. وبالرفع قرأ نافع وأبو جعفر. فيبدو أن القارئ كان يرتل أو يوجد برواية أحد رواتهما، وقراءة الرفع أنسب بسياق الآية الكريمة في ظاهره. وجاز أن يعتبر القول قول رسول المخاطبين نبينا ﷺ، وعليه يكون المعنى: وزلزلوا وترلزلون مثلهم حتى يقول الرسول، فيكون الفعل للمستقبل فينصب، لأن القول لما يقع وقتئذ. وبذلك قرأ بقية العشرة، وقراءة النصب بهذا المعنى أنسب بالفرض

١- تفسير البأساء والضراء من التحرير والتنوير (٢/٢٣١).

٢- انظر في الجميع روح المعاني (٢/٤٠١)، والتحرير والتنوير السابق (ص ٦١٢).

المسوق له الكلام^(١). ويكلتا القراءتين يحصل كلا العرضين^(٢).

وحصول المعاني المتعددة من تعدد القراءات مبالغة في إعجاز القرآن وقد أنزله الله تعالى على سبعة أحرف، وتفرعت منها القراءات المقروء بها إلى اليوم، فكلها صواب، ومن عنده تعالى. فالأحرف السبعة أصول، والأصل الواحد يتفرع عنه أكثر من فرع، فلا جرم أن كثر عدد القراءات لأنها فروع عن عدد أصولها السبعة.

- ٤ -

-السؤال (٤): ما الواجب عند تلاوة القرآن؟ وما أحكام التلاوة؟ وكيف أحفظ القرآن؟ وماذا أعمل لئلا أنسى المعلومات؟
-الجواب:

من أحكام تلاوة القرآن وجوب ترتيله الترتيل الذي ضده العوج، قال تعالى: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾ (المزمل: ٤)، فسلامة الحركات والسكنات والحروف واجبة، وكذا يجب ما أجمع القراء عليه من تفخيم وترقيق ومد وإدغام وإظهار وإخفاء وغنة وقلقلة، وسائر ما التزمه النبي ﷺ في قراءته، وقد سمع ابن مسعود رضي الله عنه رجلاً يقرأ: ﴿إِنَّمَا أَصَدَقْتُ لِلْفُقَرَاءِ﴾ (التوبة: ٦٠) فلم يعطها مستحقاً من المد، فقال له: ما هكذا أقرأنيها رسول الله ﷺ، فقال الرجل: وكيف أقرأها؟ فقال ابن مسعود: أقرأنيها ﴿لِلْفُقَرَاءِ﴾ فمدها. واتفقت أقوال علماء المذاهب على أنه لا عبرة بالمشقة والخرج في تعلم

١- انظر في الجميع التحرير والتنوير السابق إلا «تقديرًا» ففي شرح القطر لابن هشام. وفي شرح القطر توجيه الرفع والنصب بدون أن يعتبر أن الرسول رسولنا، فالرفع على أن الفعل «يقول» للحال تقديرًا، فالزلزال والقول - ما قبل حتى وما بعدها - قد مضيا لكن حكيت الحال فرفع المضارع لأن حكاية الحال جعلته للحال تقديرًا، والنصب على أن الفعل مستقبل بالنسبة إلى ما قبل حتى أتى الزلزال قد تقدم على القول في الوقوع وإن كان ماضيًا كالزلزال بالنسبة إلى زمن التكلم والإخبار.

٢- انظر التحرير والتنوير السابق.

الواجب المجمع عليه في التلاوة.

ويجب على قارئ القرآن الإخلاص لوجه الله تعالى، والطهارة من الجنابة، وطهارة الفم من دم اللثة مثلاً - إلا إذا كان معذوراً بكثرته من المرض - . ويجب أن لا يرفع صوته إذا كان لا زال لم يحسن التلاوة وذلك حتى لا يسمعه من يتأثر به فيتعلم منه الخطأ ويقرأ به، ويجب أن يجتهد في تصحيح القراءة على مقرئ متقن. ويستحب أن يبدأ بالاستعاذة وأن يكون متوضئاً نظيف البدن والثوب والمكان، متطيباً مستقبل القبلة، بعيداً عن الضوضاء وسائر المشوشات، كما يستحب تحسين الصوت بالقراءة، والإمساك عن القراءة عند التثاؤب حتى ينقضي، وأن يطيب فمه بالسواك، قال ﷺ: «إن أفواهكم طرق القرآن فطيبوها بالسواك». كما يستحب أن يقرأ على ترتيب المصحف.

وعكس الواجبات محرمات، وعكس المستحبات مكروهات. ومن المحرمات الإخلال بالمعنى والإعراب، ومنها إخفاء اللفظ نتيجة سرعة أو تكاسل في النطق كالسكران، ويحرم تمطيط يؤدي إلى زيادة حرف. ويحرم إبدال حرف بحرف ومنه أن لا يخرج لسانه في الثاء والذال والطاء. ومن المكروه أن يمد المنفصل في موضع ويقصره في موضع وأن يتخذ القرآن معيشة وأن يتخلل القرآن كلام أجنبي إلا لحاجة. وفي آخر كتاب فضائل القرآن لابن كثير دعاء ضد النسيان، ومعلم القرآن يسلك معك ما يناسبك لتحفظه. والله ولي التوفيق.

-السؤال (٥): يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾^١ فما المراد من ذلك؟ وهل يجوز للذي يقرأ القرآن أن يأخذ عليه أجرًا أو لا يجوز؟

-الجواب:

الآية الكريمة ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ (البقرة: ٤١) خطاب لبني إسرائيل، كما يعلم مما قبلها، ومعناها: ولا تستبدلوا آياتي ثمنًا قليلًا^(١).

والآيات هنا هي الدين، أو نصوص التوراة، والتمن القليل هو الرشوة، يأخذها علماءهم على تحريف الكلم عن مواضعه، وتسهيل ما صعب من الشرائع على المكلفين، بتعديله، أو حذفه، أو تحريفه بأي شكل. وللاية تفسيرات أكثر في المراجع.

أما أخذ الأجرة على تلاوة القرآن لحصول بركة الرقيا به فجائز، بدليل حديث البخاري وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما أن صحابياً رقى بالقرآن لديقاً فشفى من اللدغة، وأعطى الصحابي عدة رؤوس من عدة الغنم، فقيل له: أخذت على كتاب الله أجرًا. ثم قدموا على النبي ﷺ وأخبروه بذلك، فقال: «إن أحق ما أخذتم عليه أجرًا كتاب الله». إلى غير ذلك من الأدلة الحديثية. وأما الذين يقرؤون في نحو قاعات المناسبات، ويأخذون أجرة على ربط أنفسهم ووقتهم وصوتهم بمن طلبهم لذلك، ويحققون له رغبتة، وهو يستمتع بذلك متعة حلالاً، ونرجو أن يتاب على تسببه في قراءة القرآن، وتعريض المستمعين لثواب الاستماع، ويهب الثواب لميته، فإذا كان الأمر كذلك فلا بأس، وهذا يحصل. أما إذا كان الأمر مشوباً بالمغالاة

١- المرجع: الدراري المضية للشوكاني (ص٦٧٢-٧٧٢) مع هامشها، وتفسير النيسابوري المطبوع مع مصحف التهجد (١/٠٢٢)، والنكت والعيون للماوردي (١/٢١١)، وتأويلات أهل السنة للإمام الماتريدي (١/٧٢١).

من القارئ في الأجرة، أو بخروجه على واجبات التلاوة، أو كانت الأجرة بالنسبة إلى من يدفعها إسرافاً منه، وفوق طاقته، أو من التركة وفي الورثة من لا يرضى، أو فيهم قاصر، أو كان هذا الفعل رياء وسمعة، فأى شائبة من هذه الشوائب أو نحوها تجعل هذا العمل حراماً. وأما ما ورد من النهي عن الأكل بالقرآن، وعن سؤال الناس به فمحمول على شأن من وجب عليه تبليغ حكم من أحكام القرآن فلم يفعل إلا بأجرة، فهي حرام، لأن الواجب لا يجوز أخذ الأجرة عليه. وبهذا يجمع بين النهي المشار إليه، والجواز الذي استدللنا عليه، وبيننا وجهه. وشرح التبليغ الواجب يطول. والله أعلم.

- ٦ -

-السؤال (٦): كنا نستمع إلى أحد القراء فوجدناه يقول: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَلِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ووقف، ثم قال: ﴿وَالْمَلَكُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾، فقال واحد منا: كان ينبغي أن يقول القارئ: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ﴾ ويقف، ثم يقول: ﴿وَجِبْرِيلُ وَصَلِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَكُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ (التحریم: ٤).

-الجواب:

﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ﴾ أي: ناصره. والوقف هنا أحسن عند الآلوسي^(١).

وقال المفسر القاضي ثناء الله: «وهذا أولى لأن الله وحده كفى به ناصرًا، وإنما ذكر جبريل وصالح والمؤمنين والملائكة من جملة من ينصره إلى الله تعالى تعظيمًا لهؤلاء»^(٢). وعلى هذا فجبريل مبتدأ، ما بعده عطف عليه، و﴿ظَهِيرٌ﴾ خبر، أي هم أعوان بعد نصره الله تعالى. وأكثر العلماء على

١- روح المعاني (١٢/٣٥١-٤٥١).

٢- التفسير المسمى بالمظهري (٩/٢٤٢).

أن الوقف على ﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾ كما سمعتم من القارئ^(١). والمعنى: فإن الله هو مولاہ، وجبريل مولاہ، وصالح المؤمنین مولاہ، ثم الجملة الأخيرة: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ أي أعوان للنبي ﷺ. والمراد بصالح المؤمنین جنس الصلاح، الشامل للقليل والكثير، وأريد به الجمع هنا^(٢).

والمولى والنولي من باب واحد. والله هو الولي وهو المولى على الإطلاق والكمال. أما غيره فإذا وصف بأنه ولي للنبي ﷺ، أو مولاہ فعلى المستوى المناسب لمن شرفه الله تعالى بهذا الوصف، فلا غضاضة في ذلك. وكيف تكون هناك غضاضة، والله تعالى قد جعل بعده عز وجل من هو وليكم، فقال تعالى: ﴿إِنهَا وَلِيُّكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ (المائدة: ٥٥) فالرسول ﷺ وليكم بعد الله تعالى، والذين آمنوا أولياؤكم بعد الله ورسوله، والملائكة أيضا أولياء يتولون الأمور دنيا وأخرى لمن قال الله فيهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخْفُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشُرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (٣٠) نحن أولياؤكم في الحَيَاةِ ﴿فصلت: ٣٠-٣١﴾. ولمزيد فضل جبريل ﷺ وتعظيمه ذكر باسمه مرة وفي ضمن الملائكة مرة أخرى^(٣).

والملائكة كالبشر ينقسمون إلى خاصة وعامة، والعامة أكثر عدداً، وتدل الآية -على ما ارتضاه بعض المفسرين- على الترتيب التنازلي، فالمتقدم أفضل، فجبريل الذي هو من خواص الملائكة أفضل من عوام البشر وهم صالح المؤمنین، وصالح المؤمنین أفضل من عوام الملائكة^(٤). والعامة أو العوام بمعنى الطبقة التي هي في رتبة من الشرف دون رتبة الخاصة. هذا والله أعلم.

١- منار الهدى في الوقف والابتداء للأشمونى.

٢- روح المعاني، السابق.

٣- روح المعاني، السابق وغيره.

٤- مستفاد من التفسير المظهرى، وهو قوله، انظره (٢٤٣/٩) السابق.

وفي تفسير المولى بثلاثة تفسيرات موزعة على الموصوفين، وتلك الزيادة من روح المعاني.

-السؤال (٧): استمعنا إلى قارئ يقرأ قول الله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا﴾ فقرأها مرة بفتح التاء، ومرة بكسرها، مع أنهم لم يكونوا يقاتلون حين أذن لهم. فما توجيه ذلك؟ ومن الذين قرؤوا بالفتح؟ ومن الذين قرؤوا بالضم؟

-الجواب:

أنزل الله تعالى كتابه العزيز بقراءات متعددة كثرت بها معانيه فكانت مبالغة في إعجازه، وجاءت على وجه لا نظير لحسنه في كلام العرب. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا﴾ (الحج: ٣٩) وبهذه القراءة قرأ أبو جعفر ونافع وحفص^(١)، وهي واضحة المعنى، والذي أذن هو الله تعالى، وبنى الفعل لما لم يسم فاعله للعلم به، كما حذف المأذون فيه، وهو القتال؛ لأنه مفهوم من السياق. والذين يقاتلون هم المؤمنون يقاتلهم المشركون لا لشيء إلا لأنهم موحدون لله تعالى منزهون له سبحانه عن كل ما لا يليق به، فوقع عليهم أشد الظلم، وأمروا بالصبر وترك القتال إلى أن اشتد عودهم وأصبحوا قادرين على حمل السلاح دفعا للظلم، وحماية للدين من قوم أخرجوهم من ديارهم وأموالهم، وأرادوا أن يخرجوهم من دينهم أيضا، فأذن الله تعالى للمؤمنين أن يقاتلوا فأصبح القتال من الجانبين بعد أن كان من جانب المشركين فقط، وقوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا﴾ نزل أيضا هكذا بكسر تاء ﴿يُقَاتَلُونَ﴾ وهنا يأتي السؤال: كيف وصفوا بأنهم يقاتلون وهم يوم أذن لهم لم يكونوا مقاتلين. والجواب أن (يقاتلون) على معنى يريدون أن يقاتلوا^(٢)، لا إنهم كانوا يقاتلون بالفعل، فقد عرفنا أنهم كانوا ممنوعين عن القتال مأمورين

١- شرح الطيبة لابن الناظم، طبعة الأزهر (ص ١٠٦٢).

٢- السابق.

بالصفح والصبر. وهذا كثير في لغة العرب ولغة القرآن: أن من أراد فعلاً وصف به وإن لم يتلبس به بالفعل وهذا من اتساع العرب في كلامها. ونظيره قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ (النحل: ٩٨) فليس معناه إذا تلبست بالفعل بالقراءة، ولكن المعنى إذا أردت أن تقرأ، فيقاتلون معناه يريدون أن يقاتلوا. وبهذه القراءة قرأ أبو عمرو ويعقوب وشعبة^(١).

- ٨ -

-السؤال (٨): سمعت قوله تعالى: ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾ (البروج: ١٥) بكسر الدال، وهي في المصحف -كما نحفظها- بالضم، فهل هذه من القراءات؟ وما تفسيرها؟

-الجواب:

قرأ حمزة والكسائي وخلف من القراء العشرة قوله تعالى: «ذو العرش المجيد» هكذا بالكسر، فالمجيد صفة للعرش، والعرش مجيد لجلالته وعظم قدره، جاء في بعض الآثار: ما الكرسي في جنب العرش إلا كحلقة ملقاة في أرض فلاة، وأخرج ابن مردويه رواية بهذا المعنى عن أبي ذر عن رسول الله. وعظمة العرش الفائقة على عظمة الكرسي الذي وسع السماوات والأرض أشار إليها القرآن في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ (التوبة: ١٢٩)، ومجد العرش: عظيمته وكونه مطرحاً لتجليات رحمانية مختصه به، وفسر المجد بالشرف والرفعة والكرم والنفاسة، كما قال تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ (المؤمنون: ١١٦) وهي معان متقاربة. وقرأ بقية العشرة (ذو العرش المجيد) بضم الدال نعتاً لذو عند البعض أو خبراً بعد خبر على قول الأكثر، والمبتدأ هو في

١- السابق.

قوله ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ﴾ (البروج: ١٤) والمجيد من أسمائه تعالى قال: ﴿رَحِمْتُ اللَّهَ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾ (هود: ٧٣) مجيد: أي كريم الفعال شريف، وهو المجيد لسعة فيضه وكثرة جوده، ومجده تعالى كونه عظيماً في ذاته وصفاته واجبا وجوده تام القدرة والحكمة، والمجيد أيضاً هو الكريم الشريف، الرفيع شرفه، قال تعالى: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ﴾ (غافر: ١٥) وهي معان متلازمة داخله في مدلول هذا اللفظ، وبهاتين القراءتين الصحيحتين وبتعدد القراءات عموماً وما ينشأ عنه من كثرة المعاني القرآنية مع قلة الفروق اللفظية اعتبر العلماء قراءات القرآن وجهاً من وجوه إعجازه.

- ٩ -

- السؤال (٩): يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾ (الصفافات: ١٢) وسمعت قارئاً يقولها (بل عجب) بضم التاء. أرجوا الإفادة الضوء على معنى القراءتين، وما المراد من أن الله تعالى يعجب؟ ومن أي شيء هذا العجب؟

-الجواب:

التعجب الحاصل منا عبارة عن انفعال النفس من أمر عظيم خفي سببه^(١) وروعة تعتري الإنسان عند استعظام الشيء^(٢). ومعنى القراءة بفتح التاء: ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾ (الصفافات: ١٢) بل عجبت يامحمد من قدرة الله تعالى على هذه الخلائق العظيمة، وهم يسخرون منك مما تريهم من آثار قدرة الله تعالى، أو عجبت من إنكارهم البعث مع اعترافهم بالخالق. والقراءة بضم التاء: (بل عجب) قرأ بها من

١- اتحاف فضلاء البشر (ص: ٨٦٢).

٢- غرائب أي التنزيل (ص: ٤٢٤).

القراء السبعة، حمزة، والكسائي ومن القراء الثلاثة المكملين للعشرة خلف. ومعناها: إن هؤلاء المشركين من رأى حالهم يقول «عجبتُ». ولها معنى آخر، وهو أن الله تعالى يقول عن نفسه (عجبتُ) أي استعظمت حال من كفر بالقرآن، أو من أنكر «البعث»^(١). ونقول هذا لأن التعجب من الله تعالى بخلاف العجب من الآدميين، فإن منهم انفعال نفسي وروعة تعتريهم كما ذكرنا، مما يستحيل على الله تعالى، بخلاف الاستعظام فإنه جائز من الله تعالى^(٢) فقد استعظم - سبحانه - من المشركين ما ذكره في قوله: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ (النساء: ٤٨). فإذا أسند التعجب إلى الله تعالى فهو على معنى يليق به مع تنزيهه جل جلاله عن مشابهة خلقه وصفات المحدثين^(٣). وهكذا نقول في كل ما يسند إلى الخلق وإلى الله تعالى فإنه يكون بالنسبة إلى الخلق على المعنى المعروف بشأنهم، وبالنسبة إلى الله تعالى على المعنى اللائق بقدسه وجلاله، كقوله تعالى: ﴿وَمَكْرُؤًا وَّمَكْرَ اللَّهِ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينِ﴾ (آل عمران: ٥٤)، وقوله: ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾ (التوبة: ٧٩) وقد أسند العجب إلى الله تعالى، بمعنى الاستعظام اللائق به في عدة أحاديث شريفة، منها قوله ﷺ: «عجب ربنا من رجل غزا في سبيله فانهمز أصحابه فعلم ما عليه، فرجع حتى أهرق دمه، فيقول الله عز وجل للملائكة: انظروا إلى عبدي، رجع رغبة فيما عندي، وشفقة مما عندي حتى أهرق دمه» وهو حديث حسن رواه أبو داود^(٤).

١- غرائب.. السابق (ص: ٤٢٤-٥٢٤).

٢- غرائب.. السابق (ص: ٤٢٤).

٣- اتحاف فضلاء البشر، مرجع سابق.

٤- الجامع الصغير للسيوطي وشرح المنادي عليه وكذا شرح العريزي، والحضي وفيهما ضبط «أهريق» بضم الهمزة وفتح الياء - والعبرة بضبطهما لما أنهما من المشتغلين بفن الحديث، أما اللفظ في ذاته فيجوز فيه الفتح والسكون كما هو مضبوط بهما في لسان العرب، طبعة دار المعارف المرتبة على أوائل الكلمات.

-السؤال (١٠): صلى بنا واحد من الناس صلاة المغرب فوقف على قوله تعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ وابتدأ بقوله: ﴿غَيْرِ الْمَعْصُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ وبعد الصلاة قيل له: إنك قطعت الآية، وهذا خطأ. لشدة اتصال بعضهما ببعض.

-الجواب:

البسمة نزلت أول الفاتحة في بعض الأحرف السبعة التي نزل عليها القرآن الكريم، فمن قرأ بحرف نزلت فيه عدها آية، ومن قرأ بحرف لم تنزل فيه لم يعدها، ولزمه من الإجماع على كون الفاتحة سبع آيات أن يعد عوض البسمة ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ آية كاملة. وهذا هو عدد المدنيين والبصريين والشاميين. ووافقه مذهب الإمام أبي حنيفة والإمام مالك. وعليه يقف القارئ على ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ فهو وقف حسن لأنه رأس آية حينئذ، وبيدئ بما بعده وهو ﴿غَيْرِ الْمَعْصُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ وإن كان شديد الاتصال بما قبله، فإن هذا مأثور عن رسول الله ﷺ عند الجميع في آيتين سابقتين وهما: ﴿الرَّحْمَنَ الرَّحِيمِ﴾ و﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ فهما شديدتا الاتصال بما قبلهما وكان ﷺ يقف على ما قبل كل منهما وبيدئ بكل منهما.

وعد المكيون والكوفيون البسمة آية من أول الفاتحة، ووافق هذا العدد مذهب الشافعي وأحمد. وعليه يكون الوقف على ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ وقفاً في وسط الآية. وهو لا يضر الصلاة، والمستحب عدم الوقف عند الشافعية، فإن وقف بدأ بما بعده ولم يعد شيئاً ليصل الآية، فإن الإعادة تكرير لبعض الركن القولي، وهو مبطل للصلاة في قول الشافعية، فترك الإعادة أولى، خروجاً من الخلاف.

والفهاء تبع القراء في هذا. والجميع صحيح متبع، فإن الاختلاف في

العدد كالاختلاف في القراءات منقول بتوقيف من النبي ﷺ. ومن أدلة ذلك قول ابن مسعود رضي الله عنه: اختلفنا في سورة، فقال بعضنا: هي ثلاثون آية، وبعضنا: هي اثنتان وثلاثون. فأتينا النبي ﷺ إلى آخر الحديث، وفيه أن علياً رضي الله عنه قال لهم: إن رسول الله ﷺ يأمركم أن تقرأوا القرآن كما علمتموه. ففي هذا دليل على أن العدد راجع إلى التعلم، وفيه أيضاً دليل على تصويب العديدين.

وعلى هذا كله يكون الوقف على ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ مستحباً عند بعضهم، وجائزاً عند البعض، مع استحباب الوصل، ويكون البدء بـ ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ جائزاً، وغير مؤثر على الصلاة بشيء. فالأمر واسع فلا داعي للاختلاف بيننا، إلا تفاهماً وتقاشاً يزيدنا تبصراً بأحكام الدين^(١).

- ١١ -

-السؤال (١١): صليت خلف من يبدل بعض الحروف ببعض في الفاتحة. فهل صلاتي وصلاته صحيحتان؟
-الجواب:

نصح بالأخذ بقول سهل عند المالكية ذكره البناني على هامش عبد الباقي، وهو أن صلاة المأموم صحيحة كصلاة الإمام الذي يلحن لحناً جلياً يغير المعنى أو الإعراب، أو يلحن لحناً خفياً فلا يأتي بأحكام التجويد في تلاوته. وهذا هو مذهب أهل الحديث وأيده الشوكاني في كتاب (السير الجرار).

والنصيحة بالأخذ بهذا القول من أجل منع الفتنة في المسجد أو غيره، وتفادي ما يخشى من شجار بين من يقول بصحة الصلاة ومن يقول ببطئها. هذا مع اتفاق جميع المذاهب على أن صحة الصلاة شيء وذنب

١- وانظر شبه السؤال وبعضاً مما هنا أجاب به العز بن عبد السلام (ص ٤٢)، فتاوي سلطان العلماء.

التقصير من المقصر الذي لا يحسن قراءة الفاتحة شيء آخر. والمذاهب متفقة على أن واجب قراءة القرآن على الطريقة العربية والوجوه الإعرابية المتلقاة عن رسول الله ﷺ. فمن قصر في تعلم القراءة الصحيحة للفاتحة أو لما يصلي به من آيات القرآن فهو آثم وإن صحت صلاته عند من قال بصحتها ممن ذكرناهم. أما من لم يقصر فهو معذور ولا شيء عليه كأن يكون لم يجد معلماً - إن فرض ذلك - أو بذل وسعه ولم يطاوعه لسانه، وقال أهل الخبرة إنه ميئوس منه بعد محاولات ومحاولات، فلا يكلف الله نفساً إلا وسعها، وما جعل علينا في الدين من حرج. وقد خرج النبي ﷺ على جماعة يقرءون وفيهم العربي والعجمي فقال: «اقرأوا فكل حسن».

- ١٢ -

-السؤال (١٢): ما حكم البسملة في قراءة الفاتحة وباقي السور في الصلاة؟ وهل الأفضل الجهر أو الإسرار بها في الصلاة الجهرية بالنسبة للإمام وبالنسبة للمأموم؟

-الجواب:

قراءة الفاتحة بالبسملة في الصلاة واجبة عند الشافعية ومن وافقهم وكذا في أحد الأقوال المالكية. وخالف الحنفية في وجوب البسملة. والبسملة في أوائل السور بعد الفاتحة مستحبة إلا في أول سورة «براءة» فممنوعة. ومن وصل سورة بسورة أتى بالبسملة للسورة التالية إن كان يقرأ برواية حفص مثلاً، أما إن كان يقرأ لحمزة فإنه يصل السورة بالسورة بدون بسملة. وكلُّ إنما يعمل بما تعلمه، فمن تعلم الأمرين وعرف القراءتين وروى الوجهين قرأ كيف شاء. وكل القراء من استفتح منهم بسورة بأن لم تكن موصولة في التلاوة بسابقتها استفتح بالبسملة، لم يخالف أحد منهم ذلك. ومع هذا فليست واجبة قولاً واحداً على من نذر قراءة سورة بل في بعض المذاهب تجب البسملة للسورة المنذورة وفي بعضها الآخر لا تجب. وكل ما

قلناه ونقوله لا ينطبق على سورة التوبة، فإن البسمة في أولها ممنوعة كما سبق، ويستحب للإمام في الصلاة الجهرية أن يجهر بالبسمة، فقد وردت الأحاديث بذلك. ويجوز له الإسراع بالبسمة في الصلاة الجهرية كما وردت بذلك أيضاً الأحاديث التي أخذ بها الحنفية. وقد سأل الإمام مالك صاحب المذهب إمام القراء في المدينة في وقته نافعاً رضي الله عنهما عن البسمة فقال نافع: السنة الجهر بها، فسلم إليه مالك وقال: كل علم يسأل عنه أهله.

أما المأموم فمن المعلوم أنه لا يجهر بشيء بل يسمع نفسه فقط..
والله أعلم.

- ١٣ -

-السؤال (١٣): سمعت أن الأمي في باب صلاة الجماعة هو الذي يخل بحرف من حروف الفاتحة أو تشديده، وصليت وراء شخص فوجدته يقرأ ﴿الْمُسْتَقِيمَ﴾ بالصاد بدلاً من السين والثاء، ويعكس قراءة ﴿الضَّرْطِ﴾ فيجعل الطاء تاء، وفي نطقه بـ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ لا يتبين أن النون مكسورة أو مفتوحة أو غيرهما، فأرجو بيان الأحكام الشرعية في هذا كله.

-الجواب:

إن من يخل بحرف أو تشديد من الفاتحة يسمى في عرف الفقهاء أمياً وإن كان يحسن القراءة والكتابة، كما أن من يحسن قراءة الفاتحة يسمى في عرفهم قارئاً وإن كان جاهلاً بالقراءة والكتابة. ومن يقدر على تصحيح قراءته ولم يصححها فهو أثم سواء كان إماماً أو مأموماً أو يتلو في غير صلاة.

وقال الشافعية إن صلاة القارئ -أي الصحيح القراءة- خلف الأمي -أي

الذي في قراءته خلل - كالخلل الوارد في السؤال صلاة باطلة، سواء كان الإمام مقصراً في التعلم أو عاجزاً عنه بحكم طبيعته. ولكن تجنباً لحدوث فتنة بين الناس في المسجد أو في غيره بسبب مثل ذلك الخلل أرى الأخذ بقول من ستة أقوال عند المالكية، وثالث مخرج عند الشافعية، وهو قول أهل الحديث، وأكده الإمام الشوكاني، وهو صحة صلاة الجميع الإمام والمأمومين مع إثم أي واحد منهم يمكنه أن يتعلم الصواب ولم يفعل.

قال الشيخ محمد البناني المالكي في حاشيته على هامش عبد الباقي: «وإن كان -أي اللاحن- جاهلاً يقبل التعلم فهو محل الخلاف سواء أمكنه التعلم أم لا» وقال: وإن أرجح الأقوال فيه صحة صلاة من خلفه، وأحرى صلاته هو... إلى أن قال: ولا فرق بين اللحن الجلي والخفي في جميع ما تقدم. ويصح اقتداء القارئ بالأمي قولاً واحداً عند أهل الحديث، كما في كتاب نزل الأبرار من كتبهم الفقهية. وأيضاً قال الشوكاني في السيل الجرار: الإتيان بالقراءة على الوجه العربي والهيئة الإعرابية هو المتعين على كل قارئ سواء كان في الصلاة أو خارجها. وأما إن ذلك يوجب فساد الصلاة، فلا.. فإنه لا بد من دليل يدل على الفساد... إلى أن قال: فدعوى كون اللحن.. من مفسدات الصلاة دعوى عاطلة عن البرهان خالية عن الدليل.

-السؤال (١٤): إذا دخل إنسان المسجد ووجد قارئاً يقرأ للحاضرين فهل يجلس معهم ليستمع أو يصلي تحية المسجد؟ وإذا صلاها هل يكون مخالفاً لقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (الأعراف: ٢٠٤)؟

-الجواب:

قال الإمام أحمد رحمته الله: أجمع الناس على أن هذه الآية في الصلاة يعني أن وجوب الاستماع والإنصات محكوم به على المأموم في صلاة الجماعة فلا يقرأ بل يستمع. وعليه فلا وجوب للإنصات خارج الصلاة بل يستحب. فيستحب لك أيها المستمع الكريم أن تستمع كما يستحب أن تصلي تحية المسجد، وأرى أن تحية المسجد أولى، وخصوصاً أنك إن فاتك الاستماع لقراءة الغير فستقرأ بنفسك في الصلاة. وأي واحد من الجالسين للاستماع يجوز له أن يتنحى ليقراً بنفسه، أو يصلي، أو يذهب لمصلحة. وإلا لوجب على كل مار أن يتوقف ويستمع وتتعلل المصالح، وهذا غير معقول.

وإنما أمر الله تعالى بالاستماع والإنصات ليكون داعياً إلى ترك باطل من اللهو وأشغال الدنيا، لا ليكون داعياً إلى ترك أمر مشروع كتحية المسجد. وحكى ابن المنذر الإجماع على عدم وجوب الاستماع والإنصات في غير الصلاة والخطبة. وذكر الحرج العظيم لو وجب على كل من يسمع فيعطل عمله لينصت وهذا الحرج أو هذا الإجماع كفيلاً بصرف الأمر عن الوجوب إلى الاستحباب أو قرينة على أن الأمر للاستحباب. ولنا أن نأخذ بقول من قال إن العبرة بخصوص السبب، فلا يستدل بالآية على وجوب الاستماع والإنصات خارج الصلاة، بل هي توجيه في الحالة التي نزلت هي بشأنها، وهي حالة المأموم، أو هي ترك التشويش على الإمام، أو حالة التبليغ، إذ لا يعقل أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم يبلغ القرآن ولا يجب الاستماع له، وكذا لا يعقل أن

يكون إنسان يبلغ القرآن لمن لم يبلغه القرآن قبل ذلك ثم يقال له لا يجب عليك أيها المبلغ أن تستمع. وقال الإمام الطحاوي في كتابه «أحكام القرآن الكريم» إن أولى ما تؤول به الآية هو ما ورد عن الصحابة والتابعين رضي الله عنهم من كونها في وجوب الإنصات لقراءة الإمام إلى غير ذلك مما ذكره، وليس منه ما يكون خارج الصلاة ومخرجاً.

وروى الطبراني في الأوسط بإسناد حسن أن أبا هريرة رضي الله عنه قال لأهل السوق: أنتم هنا وميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم في المسجد ولا تأخذون نصيبكم؟! فذهبوا فلم يجدوا شيئاً يقسم، فسألهم: ماذا وجدتم؟ قالوا: وجدنا قوماً يصلون، وقوماً يقرؤون القرآن، وقوماً يتذكرون الحلال والحرام، فقال: فذاك ميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم. وهذا يدل على أنه لم يجب ترك التفل بالصلاة. ولا ترك مدارس العلم لاستماع القرآن. فما دام ترك الاستماع ليس إعراضاً ولا تهاوناً بل لمصلحة - وهي هنا تحية المسجد - فالراجح كما أشرت أن تصلي التحية، ولا حرج ^(١).

١- التفسير المظهرى (٣/٥٥٤، ١٥٣، ٢٥٤)، وتفسير الشوكاني (٢/٤٩٣)، وتفسير الخازن (٢/١٢٣)، وتفسير القرطبي (٧/٧٢٣)، والإقناع في فقه الشافعية (١/٥٧١)، وحاشية الجمل على تفسير الجلالين (٢/٢٢٢)، وكذا حاشية الصاوي (٢/٥٠١)، وتفسير الألوسي (٩/٣٥١)، وأحكام القرآن للهراسي (٣/٥٧٣، ٦٧٣، ٨٧٣)، والألوسي (٩/٥٠١)، وتفسير ابن عاشور (٩/٩٣٢-٩٤٢، ١٤٢)، وتفسير الفخر (٥١/٦٨) وما قبلها، وتفسير النيسابوري على هامش الطبري (٩/٢٠١-٣٠١)، والتحفة وحواشيها فقه شافعي (٢/٣٥٤-٤٥٤)، وقلبيوبي وعميرة على المحلي على المنهاج (١/٥٨٢)، والإكليل على مدارك التنزيل (٢/٢٩١-٢٩١)، وروح البيان (٣/٤٠٣)، وتفسير المنار (٩/٨٠٥)، ط٢، دار المنار ٧٦٣١هـ، وإمام الكلام للكنوي (٩١١، ٨٠١، ٤٢١-٨٢١، ٥٤١)، والمسألة (٤٤) في المنثورات للنووي، والمشكاة بتفحيح الرواة (١/٥٥)، والترغيب والترهيب (١/١٦)، والتبيان للنووي (٣٦) ط١ الحلبي ٢٠٦٩م.

-السؤال (١٥) صليت التراويح في المسجد في بعض الليالي، فسمعت الإمام يقرأ في ركعة الوتر «سبح اسم ربك الأعلى» فيمیل أواخر الآيات إلى جهة الياء والكسرة، دون أن يجعلها كسرة كاملة، فهل هذه الطريقة صحيحة؟

-الجواب:

هذه الطريقة صحيحة إذا كان الإمام عالماً بهذه القراءة وبقية ما يلزمها في غير أواخر الآيات. أما إذا كان يفعل هذا فقط ويقرأ سائر الآيات وكلماتها كما نقرأ لفحص فإنه يكون قد ركب هذه الإمالة على رواية حفص، والتركيب خطأ. وأظننا سمعنا منذ عهد قريب تلاوة القرآن برواية ورش عن نافع، وفيها هذه الإمالة بدرجة تسمى بها إمالة صغرى وتسمى تقليلاً، وهذا يؤنسنا بما يكون شبيهاً بها.

أما إذا كان المستمعون يقعون في حق الإمام ويدخل عليهم التشويش من قراءته بغير ما يعرفون، فإن فريقاً من الفقهاء يكره منه ذلك وينصحه بأن يقرأ بما يعرفه جمهور من معه. ومع ذلك ننصح العامة بأن يسلموا لمن يعرف القراءات، لا أن ينزلوه إلى مستواهم، فإن الأجدر أن يرفعهم هو درجة، فيعلموا أن القرآن الكريم له قراءات منزلة من عند الله تعالى، ولا يحل إنكار شيء منها، وهي وجه من وجوه إعجازه، مشروح في موضعه.

-السؤال (١٦): يقف المحفظون للقرآن في بلادنا على لفظ ﴿عَزِيزٌ﴾ من قول الحق تبارك وتعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ﴾ (التوبة: ١٢٨) ثم يكملون فيقولون: ﴿عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ فما رأيكم في هذا؟

-الجواب:

إن الطريقة المذكورة في السؤال توافق تفسيراً قال به ابن القشيري من أئمة التفسير. وتوضيح ذلك أنه وصف لرسول الله ﷺ، فهو عزيز أي لا مثل له في عرافة نسبه، وطيب أصله، وتوسطه في قومه، ومكانته العالية في قلوب المؤمنين بعد علو منزلته عند الله تعالى. وقوله تعالى بعد ذلك: ﴿عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ استئناف جملة جديدة، معناها: أهمه وشق عليه أمركم، وعنكم أي المكروه الذي لحقكم. وبهذا نجد لفظ: ﴿عَزِيزٌ﴾ تابِعاً لما قبله، منفصلاً عما بعده.

وهذا قول، وغيره هو الراجح. والراجح أن يقال: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ التوبة: ١٢٨ ثم يقال: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ فيكون لفظ ﴿عَزِيزٌ﴾ جزءاً مما بعده، ويكون بمعنى آخر - هو الراجح كما أشرنا - وتوضيحه كالآتي: الآية الكريمة خطاب لأهل مكة. و﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ أي شاق عليه تعبيكم وحزنكم يا أهل مكة. وذلك لما لقوه من قتل قومهم، ومن الأسر في الغزوات، ومن قوارع الوعيد والتهديد في القرآن الكريم.

ووصفه ﷺ بهذا الوصف: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ يفيد أن هذا خلق له، فيكون أثر ظهوره الرفق بالأمة، والحذر مما يُلقى بهم إلى العذاب، في الدنيا، وفي الآخرة. ومن آثار ذلك شفاعته للناس كلهم في الموقف لتعجيل الحساب. ثم إن ذلك: يَوْمِيٌّ إِلَى أَنْ شَرَعَهُ جَاءَ مَنَاسِباً لِّخَلْقِهِ، فانتفى

عنه الحرج والعسر، قال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ (البقرة: ١٨٥)، وقال سبحانه: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ (الحج: ٧٨). وفي هذا الوصف: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ تنبيه على أن ما لقوه من الشدة إنما هو لاستصلاح حالهم لعلهم يخفزون من غلوائهم^(١)، ويرعوون عن غيهم، ويشعرون بصلاح أمرهم^(٢). فهذه الطريقة الراجحة ذات معنى شواهده أقوى، وقد استتبع ما سمعت أيها القارئ الكريم من سلسلة معان صحيحة سامية جاءت بمثابة ثمرات طيبة، والقرآن أعلاه مثمر، وأسفله مغدق، ومدد معانيه لا ينفد.

١- مضبوطة بضم الأول وفتح الثاني في المعجمين الوجيز والوسيط.

٢- التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٧/١١)، والبحر المحیط لأبي حيان (٨١١/٥) وفي منار الهدى للأشموني مزيد لغوي، وروح المعاني للآلوسي (٢٥/١١) ينظر أيضاً.





- ١- الشهود الحضاري للأمة الوسط في عصر العولمة.
د. عبد العزيز برغوث. _____
- ٢- عينان مطفأتان وقلب بصير (رواية).
د. عبد الله الطنطاوي. _____
- ٣- دور السياق في الترجيح بين الأقاويل التفسيرية.
د. محمد إقبال عروي. _____
- ٤- إشكالية المنهج في استثمار السنة النبوية.
د. الطيب برغوث. _____
- ٥- ظلال وارفة (مجموعة قصصية) .
د. سعاد الناصر (أم سلمى). _____
- ٦- قراءات معرفية في الفكر الأصولي.
د. مصطفى قطب سانو. _____
- ٧- من قضايا الإسلام والإعلام بالغرب.
د. عبد الكريم بوفرة. _____
- ٨- الخط العربي وحدود المصطلح الفني.
د. إدهام محمد حنش. _____
- ٩- الاختيار الفقهي وإشكالية تجديد الفقه الإسلامي.
د. محمود النجيري. _____

- ١٠- ملامح تطبيقية في منهج الإسلام الحضاري.
د. محمد كمال حسن.
- ١١- العمران والبنيان في منظور الإسلام.
د. يحيى وزيري.
- ١٢- تأمل واعتبار: قراءة في حكايات أندلسية.
د. عبد الرحمن الحجى.
- ١٣- ومنها تتفجر الأنهار (ديوان شعر).
الشاعرة أمينة المريني.
- ١٤- الطريق... من هنا.
الشيخ محمد الغزالي
- ١٥- خطاب الحداثة: قراءة نقدية.
د. حميد سمير
- ١٦- العودة إلى الصفصاف (مجموعة قصصية لليافعين).
فريد محمد معوض
- ١٧- ارتسامات في بناء الذات.
د. محمد بن إبراهيم الحمد
- ١٨- هو وهي: قصة الرجل والمرأة في القرآن الكريم.
د. عودة خليل أبو عودة

١٩- التصرفات المالية للمرأة في الفقه الإسلامي.

_____ د. ثرية أقصري

٢٠- إشكالية تأصيل الرؤية الإسلامية في النقد والإبداع.

_____ د. عمر أحمد بوقرورة

٢١- ملامح الرؤية الوسطية في المنهج الفقهي.

_____ د. أبو أمامة نوار بن الشلي

٢٢- أضواء على الرواية الإسلامية المعاصرة.

_____ د. حلمي محمد القاعود

٢٣- جسور التواصل الحضاري بين العالم الإسلامي واليابان.

_____ أ. د. سمير عبد الحميد نوح

٢٤- الكليات الأساسية للشريعة الإسلامية.

_____ د. أحمد الريسوني

٢٥- المرتكزات البيانية في فهم النصوص الشرعية.

_____ د. نجم الدين قادر كريم الزنكي

٢٦- معالم منهجية في تأصيل مفهوم الأدب الإسلامي.

_____ د. حسن الأمراني

_____ د. محمد إقبال عروي

٢٧- إمام الحكمة (رواية).

_____ الروائي/ عبد الباقي يوسف

٢٨- بناء اقتصاديات الأسرة على قيم الاقتصاد الإسلامي.

أ.د. عبد الحميد محمود البعلي _____

٢٩- إنما أنت... بلسم (ديوان شعر).

الشاعر محمود مفلح _____

٣٠- نظرية العقد في الشريعة الإسلامية.

د. محمد الحبيب التجكاني _____

٣١- محمد ﷺ ملهم الشعراء

أ. طلال العامر _____

٣٢- نحو تربية مالية أسرية راشدة.

د. أشرف محمد دوابه _____

٣٣- جماليات تصوير الحركة في القرآن الكريم .

د. حكمت صالح _____

٣٤- الفكر المقاصدي وتطبيقاته في السياسة الشرعية.

د. عبد الرحمن العضاوي _____

٣٥- السنابل... (ديوان شعر).

أ. محيي الدين عطية _____

٣٦- نظرات في أصول الفقه.

د. أحمد محمد كنعان _____

٣٧- القراءات المفسرة ودورها في توجيه معاني الآيات القرآنية.

د. عبد الهادي دحاني

٣٨- شعر أبي طالب في نصره النبي ﷺ.

د. محمد عبد الحميد سالم

٣٩- أثر اللغة في الاستنباطات الشرعية.

د. حمدي بخيت عمران

٤٠- رؤية نقدية في أزمة الأموال غير الحقيقية.

أ.د. موسى العرياني

د. ناصر يوسف

٤١- مرافئ اليقين (ديوان شعر).

الشاعر ريس الفيل

٤٢- مسائل في علوم القرآن.

د. عبد الغفور مصطفى جعفر

نهر متعدد.. متجدد

هذا الكتاب

فهذه مجموعة من المباحث أنشأها الدكتور عبد الغفور محمود مصطفى جعفر، رحمه الله، إجابة على أسئلة مختلفة في علوم القرآن والتفسير والقراءات، وهي تشكل مادة علمية جامعة في تلك العلوم، توضح العديد من الإشكالات، وتجلي مجموعة من المفاهيم والأسرار في جمع القرآن الكريم وأسلوبه ونظمه وقراءته.

وقد صنفها الكاتب في شكل فصول، بدأها بقضايا تتصل بعلوم القرآن عامة، ثم أفرد فصلاً لتفسير العديد من الألفاظ والمصطلحات القرآنية، وآخر لبعض القضايا المرتبطة بعلم القراءات.

ويمثل الفصل الخاص بالتناسب البياني إضافة نوعية في مباحث الكتاب، وذلك لأنه يبحث في الأسرار والحكم واللطائف التي تكمن خلف أساليب القرآن الكريم، من حذف وزيادة، وتقديم وتأخير، وإفراد وجمع، وذكر وإضمار.. مما يمثل وجهاً من أوجه إعجاز البيان القرآني...



وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

قطاع الشؤون الثقافية

إدارة الثقافة الإسلامية

www.islam.gov.kw/thaqafa